الجزء الرابع — المجلد الرابع والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٥٩ م — ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٧٩ هـ

مَـدى النحت في اللغة العربية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

توطئة :

من المعروف أن النحت في لغتنا الضادية النَّشْرُ والقَشْرُ والبَرْيُ . يقال نَحَتَ الخشبَ والحجارة اذا براها . ومن المعروف أيضاً أن النحت في الاصطلاح انتزاع كلمة من كلمتين أو أكثر ، على أن يكون تناسب في اللفظ والمعنى بين المنحوت والمنحوت منه . وقد نحت القدماء من (الجملة) فاشتهر من منحوتاتهم قولهم حَمْدَلَ حَمْدَلةً من الحمد لله ، وبَسْمَلَ بسملةً من بسم الله ، وسبحلَ سبحلة من سبحان الله ، وحسبلَ حسبلةً من حسبي الله ، وجَعْفَدَ من جُعلت فداك ، ودمعزَ من أدام الله عزه ، وحولق من لا حول ولا قوة الا بالله ، وطلبقَ من أطال الله بقاءك ، ومشكنَ من ما شاء الله كان الخ .

ونحتوا أيضاً من المركب الإضافي : فن مشهور ما قالوه في النسب الى عبد شمس عَبْشَمِي ، والى رأس عين «في الجزيرة» رَسْعَنِي ، والى عبد القيس عَبْقَسِي ، والى حصن كَيْفَا «على دجلة شمالي الجزيرة» حِصْكَفِي ، والى عبد الدار عَبْدَرِي ، والى دار البطيخ في بغداد دَرْبَخِي .

ولم يتبعوا قواعد ثابتة سواء في الحروف التي تُنتزع من المنحوت منه ، أو في ترتيب حروف المنحوتات . ولكن القاعدة المعروفة أنهم يأخذون من كلمتين كلمة على وزن فَعْلَل ، ويأخذون من كل كلمة فاءها وعينها ، ثم ينسبون الى المنحوتة ، كقولهم عَبْشَمِيّ من عبد شمس ، فإنهم انتزعوا العين والباء من كلمة عبد ، والشين والميم من كلمة شمس ، ثم أضافوا الى عبشم ياء النسبة المشددة .

وقد تعتل عين الجزء الثاني من فعلل ، فيتجاوزون عنها الى اللام ، كما في عَبْقَسِيّ من عبد القيس فقد تجاوزوا عن ياء قيس الى سينها .

إلا أننا وجدناهم يشذون عن هذه القاعدة في مثل قولهم دربخي في النسب الى دار البطيخ . فمن مقتضى القاعدة أن يقال دربطي .

وكذلك في النسب الى سوق مازن فقد قالوا سقزني حاذفين فاء الكلمة الثانية أي ميم مازن .

أما موضوع ترتيب الحروف في النحت فقد اختلفت فيه آراؤهم . فعند ابن فارس يقال حَوْقَلَ ، بتقديم قاف حولق على لامها ، مثلما يقال جعفلة باللام ، بدلاً من الدال ، في جعفدة المنحوتة من جعلت فداك . وعَدّ ابن فارس ذلك تفنناً ، ولكن ابن دحية قد خطّأه في الجعفلة هذه ، وقال إن الحوقلة هي مشية الرجل الضعيف لا منحوت «لا حول ولا قوة إلا بالله» .

وذكر الخفاجي في شفاء الغليل الطبلقة بتقديم الباء على اللام في الطلبقة المنحوتة من «أطال الله بقاءك» ، فخطأه بعض العلماء ذاكرين أنه لا بد من ترتيب الحروف في المنحوت ، على حسب ترتيبها في المنحوت منه .

ورأيناهم ، بعد هذا الخلاف ، يتجاوزون في بعض المنحوتات من الجمل عن جميع حروف بعض الكلم ، مثل كلمة دَمْعَز التي ألمت اليها فليس فيها حرف من حروف لفظ الجلالة .

والخلاصة أن هنالك قاعدة وُضعت للنحت ، ولكن ما شذّ عنها كثير .

وعد القدماء النحت سماعياً ، فلم يجيزوه ، وذكر بعض المتأخرين أن ابن فارس قال بقياسيته في فقه اللغة ، والحقيقة أن ابن فارس لم يصرح بقياسية النحت ، بل ادعى أن الكثير مما زاد على ثلاثة أحرف منحوت ، والكثرة تجيز القول بالقياسية .

النحت في المصطلحات العلمية الحديثة . — كان مجمع اللغة العربية في القاهرة ألّف في سنة ١٩٤٧ ، لجنة من بعض أعضائه ، تنظر في موضوع النحت ؛ فوضع العلامة الشيخ إبراهيم حمروش مقرر اللجنة بحثاً ماتعاً في النحت [١] انتهى فيه الى قوله :

«ونحن نقول بجواز النحت في العلوم والفنون للحاجة الملحة الى التعبير عن معانيها بألفاظ عربية موجزة» .

وقد أقرت اللجنة هذا البحث . وعندما عُرض في الدورة الرابعة عشرة (١٩٤٧ — ١٩٤٨) على المجمع وافق بعد المناقشة على جواز النحت عندما تلجئ اليه الضرورة العلمية [٢] .

(١) نشر في الجزء السابع من مجلة مجمع اللغة العربية « ص ٢٠١ — ٢٠٤ » .
(٢) ج ٧ ص ١٥٨ من مجلة مجمع اللغة العربية .

وليس المهم في بحثي هذا التنبيه الى أن النحت من الألفاظ العلمية أصبح جائزاً لنا ، فكل من يعاني وضع المصطلحات بالعربية يعرف أننا في حاجة الى النحت في بعض الأحايين ، والذي يهم بيانه إنما هو مدى الضرورة العلمية الى النحت ، والشروط التي يجب على الناحت أن يتقيّد بها في وضع المنحوتات العلمية ، وأرى أن البحث عن حدود النحت ومداه يشتمل على كثير من الملاحظات التي ذكرتها في بحثي عن حدود التعريب ومداه [1] .

ففي النحت « كما في التعريب » فريقان من العلماء : فريق يرى أن كلمات « عند الضرورة العلمية » التي جعلها المجمع شرطاً في النحت شيء رخو قابل للمط والتأويل ، ولذلك راح رجال هذا الفريق يكثرون من النحت ، على حسب ما جادت به قرائحهم .

وفريق يرى أن تلك الكلمات قوية في دلالتها ، وأنه يجب مراعاتها بدقة في موضوع النحت ، لذلك تزمّت رجال هذا الفريق ، ولم يستسيغوا الا الندرة من المنحوتات الحديثة .

وبين فريق المتهاونين وفريق المتشددين من العلماء برز فريق ثالث ممن لم يختصوا بعلم من العلوم ، ولم يطلعوا على خصائص لساننا ولم يهضموها ، فراحوا ينحتون على حسب ما توحي به اليهم معرفتهم باللغات الأجنبية وتفكيرهم بها ؛ وإذا بهم يأتوننا بمنحوتات عجيبة لا العلم يحوجنا اليها ، ولا الذوق العربي يستسيغها .

ولا بد لكل من يكلف نفسه مشقة النحت ، في نقل العلوم الحديثة الى العربية ، من أن يكون متحلياً بصفتين : الأولى إدراك مدى الحاجة الى منحوت عربي يقابل الكلمة الأعجمية ؛ والثاني التحسس بما يوافق الذوق العربي ولا ينفر منه السمع .

---

(١) نشر هذا البحث في عدد تموز سنة ١٩٥٦ ص ٥٠٩ - ٥١٢ من مجلة المجمع العلمي العربي .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

منحوتات لا حاجة اليها . — من الأدلة على جهل مدى الحاجة الى النحت ما أقدم عليه مؤلف معجم إنكليزي عربي من نحت كلمات سقيمة تدل على أسماء شعب وطوائف ورتب من الحيوان ، على حين أن هذه الأسماء في علم الحيوان وعلم النبات لا حاجة فيها الى النحت .

وها كم نماذج قليلة من هذه المنحوتات العجيبة :

في رتب الحشرات :

اللفظ المنحوت	اللفظ الفرنسي	اللفظ الصحيح
غِمْجَناحيات (من غمد وجناح)	Coléoptères	غِمْدِيَّات الأجنحة
غِشْجَناحيات (من غشاء وجناح)	Hyménoptères	غِشائِيَّات الأجنحة
مسجناحيات (من مستقيم وجناح)	Orthoptères	مُسْتَقيمات الأجنحة
عصجناحيات (من عصب وجناح)	Névroptères	عَصَبِيَّات الأجنحة
الخ		
وفي السمك :		
الشَوْجَنَبِيَّات (من شوك وجناح)	Acantoptérygiens	شائِكات الزَّعانف (لا الأجنحة)
الدَوْفَمِيات (من دائر وفم)	Cyclostomes	حَلَقِيَّات الأفواه
اللَعْنفِيِّات (من لين وزعنفة)	Malacoptérigiens	لَيِّنات الزعانف
وفي الرخويات :		
البَطْنجَلِيَّات (من بطن ورجل)	Gastéropodes	مَعِدِيَّات الا رجل
وفي الأوالي :		
الجَذْرِجْليات (من جذر ورجل)	Rhizopodes	جَذْرِيات الأقدام «أو الأرجل»

الى آخر أمثال هذه المنحوتات العربية التي لا حاجة اليها البتة في علوم المواليد ، وفيها فوق ذلك ضرر بارز للعيان : ذلك بأن الأوربيين عندما ينحتون كلمة علمية واحدة من كلمتين يونانيتين ، كالكلمات الفرنسية المذكورة ، يهتمون بجعل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكلمة المنحوتة مفهومة على قدر المستطاع ؛ ثم إن الطالب الفرنسي يتعلم مبادئ اليونانية واللاتينية ، وهو يعرف معاني الزوائد اليونانية ، من صدور وكواسع ، التي تضاف الى الكلمة الأصلية فتتألف منها الكلمة الفرنسية المنحوتة . فأنت اذا قلت للطالب الفرنسي إن هذه الحشرة من رتبة الـ Orthoptères مثلاً فهو يدرك على الفور أن حشرات هذه الرتبة لها أجنحة مستقيمة ، لأنه يكون قد درس في علم اشتقاق الألفاظ الفرنسية أن Ortho من Orthos اليونانية أي مستقيم ، وأن Ptère من Pteron أي جناح .

ولكنك اذا ترجمت ناحتاً فقلت للطالب العربي مسجناحيات فهو لا يفهم الا النصف الثاني من هذه الكلمة المنحوتة ، لأنك تركت كلمة جناح على حالها فلم تنزع من حروفها حرفين فقط ، وهما الجيم والنون ، على مقتضى القاعدة . ولو فعلت ذلك لأصبحت المنحوتة مسجنيات ، ولاستغلق المعنى فيهـا تماماً ، مثلما استغلق في الشوجنيات والالعنفيات والبطحليات وأشباه هذه الرطانات المستقبحة .

ولو ذكرتَ للطالب العربي الترجمة الصحيحة بكلمتين فقلت مستقيمات الأجنحة وشائكات الزعانف ولينات الزعانف الخ ، لفهم معانيها من دون حاجة الى الشرح ، ومتى احتاج الأمر الى بيان أوجه نحت المنحوتات ضاع معظم فوائدها .

ويتبين من هذه الأمثال أن الأسماء الأعجمية الدالة على الشعب والطوائف والرتب في الحيوان والنبات يجب ترجمتها بمعانيها ، سواء أُعبر عن الاسم الأعجمي الواحد بكلمة عربية واحدة ، أم بكلمتين ، أم بأكثر . واللجوء الى النحت في هذا الباب لا فائدة فيه ، ولا حاجة اليه ، أما ضرره فواضح .

ومن الطبيعي أن كلامي هذا لا يشمل علوماً أخرى قد يفيد النحت فيها . ولا بد في جميع الحالات الملجئة الى النحت من إدراك واسع لمدى الحاجة اليه ، ومن تذوّق صحيح لخصائص العربية وبيانها .

وموضوع الذوق في النحت لا يحتاج الى شرح طويل ، فمجمع اللغة العربية في القاهرة كان أجاز مثلاً ، في لغة العلم ، استعمال (لا) مركبةً مع الاسم المفرد (في مثل لا تُوَيجي Apétale ، ولا ثَمري Acarpe ، ولا ساقي Acaule ، ولا مائي Anhydre الخ .) ، ولكنه اشترط أن يوافق هذا الاستعمال الذوق ، وأن لا ينفر منه السمع[1] .

داء النحت . — لقد أصبح النحت داءً عند بعض أساتيذنا ، حتى عند بعض علمائنا ، وكثير منهم يدعون اليه ذاهبين الى أنه من أكبر الوسائل المفضية الى نمو اللغة العربية وتقدمها ، والحقيقة أنه أداة صغيرة الأثر ، اذا قيست بالأدوات السائرة من اشتقاق وتضمين وتعريب ؟ وكأني بالمتساهلين من أنصار النحت لا يبالون بأن تفضي آراؤهم الى خلق لغة نبطية جديدة تحل محل اللسان العربي المبين ، ولذلك وجدنا بعضهم يضربون بقواعد العربية عرض الحائط فيقول أحدهم مثلاً العَدَنْعَضَلي والشُبهغدي بدلاً من الغدي العضلي ، وشبه الغدي . ويقول الاَنْفيَورَقي بدلاً من ألفيّ الورق أو ذي ألف ورقة . وأشباه هذه الغرائب كثيرة في أحد القواميس الاعجمية العربية .

ولا أدري لماذا يخشى بعض الأساتذة استعمال كلمتين عربيتين مقابل كلمة أعجمية واحدة ؟ ففي لغتنا ألوف من الكلمات لا يستطيع الاعاجم نقل الكلمة الواحدة منها الى لغاتهم الا بكلمتين أو أكثر ، ومع هذا لم يهمهم هذا النقص ، ولم يجدوا فيه عاراً عليهم ، ولم يعملوا على تلافيه .

وهاكم أمثلة تمثلتُ بهـا في كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » حيث قلت :

« إذا راجعت مثلاً مادة (Robes et Particularités) في معجمي[2] ،

(١) الجزء السادس من مجلة مجمع اللغة العربية ص ١٧٢ .
(٢) معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية

وهي الألوان والشيات ، نجد أن لكل شبة في الخيل اسماً عربياً مؤلفاً من كلمة واحدة ، يقابلها بالفرنسية كلمتان أو ثلاث كلمات ، ومنها الشيات الآتية :

أغَرّ	Marqué en tête	الفرس الذي له غُرَّة أي بياض في الجبهة
سائِلَة	Liste en tête	الغرة التي تسيل على قصبة الأنف وتعرض في الجبهة
شِمْراخ	Petite liste	الغرة التي دقّت على قصبة الأنف ولم تبلغ الجحفلة
يَعْسوب	Liste incomplète	اذا سال البياض على قصبة الأنف دون أن يبلغ العينين
خاتَم	Principe de balzanes	أقل التحجيل ، وهي شُعيرات بيض في قوائم الفرس
إنْعال	Trace de balzanes	عندما يكون البياض واضحا
تَخْديم	Petite balzane	عندما يجاوز البياضُ الأرساغ
تَجْبيب	Grande balzane	عندما يصعد البياض في القوائم ولا يبلغ الركبتين أو العرقوبين .
تَسَرْوُل	Blzane haut - chaussée	اذا بلغ التجبيب الركبتين او العرقوبين فالفرس مُسَرْوَل

« ونحن نقول (حديدة) وهي كلمة واحدة ، والفرنسيون يقولون (Un morceau de fer) وهي أربع كلمات ، ونقول (مَشَى) في كلمة ، ويقول الفرنسي (il a marhé) في ثلاث كلمات ، وهل كلمتنا (تَمَدُّد الخلايا) أطول ، أم الكلمة الفرنسية الواحدة وهي (Multicellularité) ؟ »

ومن الواضح أن لكل لغة قوالبها وأساليبها ، وأن العربية لغة اختزال ، فلا يضيرها التعبير عن معنى من المعاني العلمية بأكثر من كلمة ، بل يضيرها ويشوهها أن يُضَمَّ اليها عدد كبير من المنحوتات الثقيلة الغامضة من غير معرفة بمدى الحاجة الى تلك المنحوتات ، أو من غير تقدير صحيح لذلك المدى .

وأم ما يحتج له أنصار الإكثار من النحت كون النسبة الى الكلمة الواحدة

المنحوتة تكون ميسورة ، خلافاً للنسبة الى المركب الإضافي ؛ ولكن ماذا يجبرنا على ترجمة النسبة بالنسبة اذا تعذرت ؟ فالترجمة لا تكون دائماً ترجمة صيغة بصيغة ، ولا حرف بحرف ، بل تكون بأخذ المعنى وبإفراغه في قوالب اللغة العربية .

فقد اقترح أحد العلماء مثلاً نحت كلمة قَبْتاريخ من كلمتي قبل التاريخ لجعلها أمام Préhistoire ، وعلى هـذا يقال في سهولة قبتاريخي مقابل Préhistorique . ولكن ما هو مبلغ حاجتنا الى هذا النحت ، والى صيغة النسبة في الكلمة الثانية ؟ ولماذا لا نحافظ على أسلوب لغتنا فنقول قبل التاريخ ، كما نقول آثار ما قبل التاريخ ، وزمن ما قبل التاريخ بدلاً من الآثار القبتاريخية والزمن القبتاريخي ؟ وما هو مبلغ الضرر في أن يكون عدد الكلمات في هذه الإضافة أكثر منه في النسبة ؟

ومن المقترحات النحت من ظروف الزمان وظروف المكان لكي تسهل النسبة الى المنحوت ، فيقال مثلاً :

خامَدْرَسي (من خارج ومدرسة) Extrascolaire
فَوْسَوِي (من فوق وسويّ) Surnormal
تَحْشُعوري (من تحت وشعور) Subconsient
قَبَلُوغي (من قبل وبلوغ) Prépubère
الخ .

وواضح أنه من الصعب جداً قبول هذه المنحوتات وأشباهها ، وأننا لسنا ، على ما قلت ، في حاجة الى ترجمة النسبة بالنسبة ، وفي وسعنا ترجمتها بالإضافة فنقول خارج المدرسة وفوق السَّوِي وتحت الشعور وقبل البلوغ وهكذا . ولا ضرر مطلقاً في ترجمة كل كلمة من هذه الكلمات الفرنسية بكلمتين عربيتين .

ففي وسعك أن تقول التعليم خارج المدرسة بدلاً من التعليم الخامدرمي ، مثلا تقول التعليم بعد المدرسة بدلاً من التعليم الغُبْمَدْرَسي (من غب ومدرسة Postscolaire) ، وتقول التربية قبل البلوغ بدلاً من التربية القبلوغية الخ .

وعندما يجعل العالم المختص بأحد العلوم منحوتاته على شكل اقتراح متواضع (كما فعل العالم الذي ألمعت اليه) يكون الخطب يسيراً ، ويكون الرجوع الى الصواب ميسورا ؛ أما أن يعمد غير المختص بعلم من العلوم الى وضع معجم أعجمي عربي في جميع العلوم العصرية ، ويحشيه بما يعن على باله من مثل المنحوتات السقيمة التي أشرت اليها في عرض هذا البحث ، فهناك يكون الداء الذي تشق مداواته . فالفرد ، أياً كان ، لا يستطيع معرفة جميع العلوم العصرية ، ولا يدرك مدى الحاجة الى النحت أو الى التعريب في كل علم من تلك العلوم الواسعة . ومما يدعو الى الارتياح أن مجمع اللغة العربية في القاهرة قد سار حتى الآن سيراً حكيماً ومتئداً في موضوع النحت ، فالألفاظ المنحوتة في مجلته قليلة جداً ، ومعظمها في الكيمياء ، والمختصون بهذا العلم يعرفون أنه من أكثر العلوم احتياجاً الى النحت والتعريب جميعا .

مصطفى الشهابي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

نفرة إمامين

عن الرواية والقصّة

لم يألف الرواية والقصة فريق من أئمة كتابنا في القرن التاسع عشر وبدء القرن العشرين ، كالشدياق وكردعلي ، فالأول زار «لندن» وشهد فيها التمثيل ووصف هذا التمثيل وصفاً يدل على ذوق ، ثم وصف بعض الأنواع الأدبية وسمّاها بأسمائها الافرنجية فقال :

«ثم إن التمثيل عندهم على نوعين ، الأول تمثيل ما يحزن من نحو الحروب وأخذ الثأر ويقال له عندهم : تراجيدي [1] والثاني وهو عكسه ويقال له : كوميدي [2] ، وكلاهما يعدّان من الأدبيات ، غير أنّ النوع الثاني يكثر فيه التوريات والمواربات والتجنيس» .

وقد نقد بعض هذا التمثيل ، فنقد طول وقت اللعب فيه ، وانه لفي نقد هذا الطول اذ خطر بباله طول الرواية فقال : وهذا كالتزام بعض المؤلفين عندهم لنوع يسمّى : نوفل ، وهو أن يجعلوا الكتاب ثلاثة مجلدات ، فيسفسفون ويدنقون ويأتون بالغث والثمين . » .

وكما نفر الشدياق عن الرواية فقد نفر كردعلي عن القصة وهذا رأيه فيها :
«أردت غير مرّة على أن أشارك في القصة ، أكتب فيها أو أنقد ، فما طابت نفسي للدخول في موضوع لم يأخذ منها ، وليس لي يد في القصص التي نشرتها

(١) أطلق على هذا النوع بعد ذلك اسم : المحزنات .
(٢) أطلق على هذا النوع بعد ذلك اسم : المضحكات .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أوّل أمري لأنها مترجمة ، وأكبر داعٍ الى عدم عنايتي بالقصة اعتقادي أنها مختلقة » .

هذان رأيان صريحان في زهد كاتبين من كبار كتّاب النهضة الحديثة في الرواية والقصّة ، على أنه كاد هذان النوعان الأدبيان يحلاّن أرفع محل في أدبنا .

أمّا نقد الشدياق لطول الرواية الانكليزية فقد كان على حقٍ فيه لأن الرواية الانجليزية في أيامه كانت طويلة ، فهي ضعف الرواية الفرنسية ، وأمّا نقد كردعلي للاختلاق في القصّة ففيه بعض النظر .

وقد يطول بي الكلام على الرواية واتساعها لموضوعات شتى ، للتاريخ ودراسة الأهواء ووصف الأخلاق وتحليل العواطف واتساعها للطبيعة وواقع الحياة والمذهب الطبيعي والمثل الأعلى كما يطول بي الكلام على القصّة ، على أن موضوعات القصّة ليس من الضروري أن تكون مختلقة ، فقد يكون الموضوع مرّة حادثة من الحوادث تستنبط من واقع الحياة فيجهد القاصّ في التفتيش عن أصولها وفي تصوّر عواقبها ثم في التفتيش عن تأثير هذه الحادثة في رجال آخرين وفي بعض الأوقات في المجتمع نفسه وقد يكون الموضوع مرّة قانوناً من القوانين أو عادةً من العادات أو حالة من الحالات فيجتهد القاصّ في تصوّر ما يمكن أن يعمله هذا القانون أو هذه العادة أو هذه الحالة في أشخاص يخترعهم ذهنه اختراعاً ، وعلى كل حال الاختلاق بمعناه اللغوي ليس من خصائص القصّة وطبائعها ، فالافتراء شيء وتصوّر أمرٍ ممكن الوقوع شيء آخر ، فأصحاب الروايات لا يخترعون أبطالاً فوق الواقع أو خارج الواقع ولكنهم يضعون أبطالهم في هذا الواقع .

وكيف كان الأمر فالظاهر أن بعض الأدباء يميلون في هذا العصر الى أن يجمع المؤلف وثائق شخصية انسانية يعرضها على القرّاء ، فهم قد أخذوا يفضّلون المذكرات على الروايات .

ولم يعن أدبنا في قديم الدهر بالرواية والقصّة العناية كلها ولا ألف هذين

النوعين الأُلفة كلها واني أعتقد أن أدبنا كان أدب تركيب لا أدب تحليل ، فاذا رجعنا الى طائفة من كتبه كالعقد الفريد أو كالبيان والتبيين فانًا نجد في أكثر هذه الكتب عبارات وجيزة ، كثيفة في معانيها ، مختصرة في مبانيها تكاد تشتمل على موضوع رواية في هذا العصر ، من هذه العبارات ما ينسب الى عمر بن الخطَّاب رضي الله تعالى عنه : ما تزبَّد متزبِّد إلاَّ لنقص في نفسه ، ولست مستوثقاً كل الاستيثاق من ألفاظ هذه العبارة ولكن هذا هو معناها ، فهذه العبارة قد تكون في عصرنا موضوع رواية من الروايات الفلسفية ، فاذا أراد كاتب روائي شرحها في رواية استطاع أن يبين لنا ما يسمّونه في الفلسفة : مركَّب النقص ، أمَّا العرب فان أذواقهم تنفر عن مثل هذا الشرح وهذا التطويل ، فقد تغنيهم الإشارة أو اللمح عن كل ذلك وقد أعربوا عن هذا الغناء في كثير من مواضع كتبهم الأدبية ، وليس معنى هذا أن أدبنا يخلو من التحليل فانًا اذا رجعنا الى بعضه وجدنا فيه من التحليل المبني على التجربة والعيان ما يدهش العقل ، من ذلك تحليل الجاحظ للحسد في بعض رسائله ، فقد فطن الى دقائق من الحسد لا يكاد يفطن اليها الاَّ الراسخون في علم النفس ، وكما لم يخلُ هذا الأدب من التحليل فكذلك لم يخلُ من القصص ، ومع هذا كله فالتركيب غالب على أدبنا أكثر من التحليل .

إلاَّ أنَّ الذي أعجب منه بعد هذه المقدمة وبعد هذا الاستطراد نفرة الشدياق عن الرواية وقد اجتمعت له خصائصها وأسرارها ، فالروايات في معظم الأحوال تشتمل على كثير من الوصف والتصوير اشتمالها على تحليل فكر من الأفكار أو مذهب من المذاهب ، فهي لا تستغني عن الوصف ولا عن التصوير ، واذا قرأنا رواية لكاتب راسخ في فنّ الروايات فان أوّل ما يبلغ منَّا من هذه الرواية انما هو الوصف والتصوير .

لقد وصف الشدياق في كتبه أموراً كثيرة وصوَّر أموراً كثيرة ، لقد وصف الشوارع والآثار والأبنية والمآكل والثياب والسحن والأخلاق والحياة

الاجتماعية ووصف الفنون الرفيعة كالموسيقى والتمثيل ووصف بعض مخترعات عصره كالبرق وسمّاه في رحلته باسمه الافرنجي : التلغراف وفي هذا الوصف كله ظهرت شخصيته وظهرت عبقريته فان له قدرة على الوصف غريبة ، فعينه شديدة البصر وأنفه شديد الشمّ وأذنه شديدة السمع ولسانه شديد الذوق .

نجد في بعض وصفه لعادات أهل مالطة وأحوالهم وأخلاقهم وأطوارهم وصفاً بسيطاً مجرّداً من كل زينة الاّ أن ألفاظه وحدها كافية أن ترينا الأشياء الموصوفة بسبب الصلة القوية بين الاسم والمسمّى ، بين اللفظ ومعناه كما نجده يميل في وصفه الى بعض ألفاظ العامة المتعلقة بالثياب كالبرنيطة والطربوش والصدرية والكنوف ، وشأنه في هذه المسامحة في اللغة شأن أكابر الكتّاب في القديم كالجاحظ الذي نرى في بعض كتاباته ألفاظ العامة لقوة تأثيرها في الأذهان .

وكما قدر الشدياق على الوصف فقد قدر على التصوير فصوّر فضول أهل مالطة وتلهيهم بالإسفاف من القول والعمل تصويراً يطول الكلام على خصائصه وعلى خصائص جمله ، فمرّة تكون هذه الجمل سريعة ومرّة تكون بطيئة وأريد بالسرعة في هذا المقام تصوير الكاتب لفكرته دون التعريج على التفاصيل والدقة غالبة على الأسلوبين ، أسلوب الوصف وأسلوب التصوير .

وكما عجبت من نفرة الشدياق عن الرواية وقد تهيأت له أسباب فنّها فكذلك عجبت من نفرة كرد علي عن القصّة وقد اجتمعت له بعض أسبابها ، لقد روى في مذكراته قصّة : قاضي دومة ، وهي وان كانت بضعة سطور إلاّ أنا نجد لها عرضاً وعقدة وخاتمة وقد عرضت حوادثها في أوضح معرض وتسلسلت تسلسلاً منطقياً زاد في وضوحها واشتبكت فيها الحوادث اشتباكاً أخّاذاً ، وأسلوب هذه القصة واضح فكل لفظ مناسب لمعناه وفي بعض القصّة حوار ولا شك في أن الحوار ينفخ في القصّة روحاً وحياةً .

فلماذا نفر هذان الكاتبان الإمامان عن الرواية والقصّة ولم تغب عنهما أسرار فنّهما .

شفيق جبري

ثقافة الأطباء عند العرب

- ٢ -

ولما تأسست دار الحكمة في أيام المأمون وانتظم أمر التأليف والترجمة واستكمل جمع الكتب من كل أنحاء العالم ، واتسع نطاق النشر والتعليم أيام جعفر ، والرشيد ، والمأمون ، والمعتصم ، واستوفى العرب حظهم من التحصيل والمعرفة والاطلاع ، انتقلوا الى دور التعمق والتجربة والاستقراء والكشف والاختراع والتأليف وانشاء المعاهد والمشافي ، وساعدهم عليه طموحهم الى العلم وتحصيله ، واهتمام الملوك والسلاطين والأمراء والوزراء وأصحاب الغنى به وبالعلماء ، وبذل هؤلاء الأموال لاستكمال ما كانوا يريدونه هم ويريده الأطباء والعلماء . ولم يقتصر الاهتمام على الطب بل تناول الفلسفة ، والفلك ، والرياضيات ، والجغرافيا ، والقياسات والرصد ، والكيمياء ، عدا اهتمامهم ومساعداتهم وبذلهم الهبات والعطايا بسخاء وكرم للشعراء والأدباء ورجال الدين واطلاقهم الحرية لهم في البحث والقول والعمل .

وفي الحقيقة ان الطبابة لم ترتق وحدها بل ارتقت في هذه العهود المستشفيات والبيمارستانات والمؤسسات والملاجئ الخيرية وانتشرت بكثرة في جميع البلاد الإسلامية : في بغداد والقاهرة ودمشق وحلب ومكة والمدينة وفلسطين ، وفي غرناطة واشبيلية وطليطلة والقيروان .

وفي عهد عبد الرحمن الثالث وولده الحاكم الثاني كانت اسبانيا في جامعاتها ومكتباتها ومدارسها وبيمارستاناتها من أرقى ما وصلت اليه الحضارة العربية ، وكان

من أطبائها وفلاسفتها الذين اشتهروا وأثروا في تقدم العلم والطب ابن رشد ، وابن الطفيل ، وبنو زهر ، وأبو القاسم الزهراوي وغيرهم .

ومما يدل على عناية العرب واهتمامهم بتشييد المعاهد العلمية والبيمارستانات والخانقاهات وترتيب ادارتها وتنظيمها ، ووقف الأموال والايرادات الكثيرة لتجهيزها وادامتها :

أولاً — كثرة عددها وانتشارها في جميع المدن والعواصم الاسلامية .

ثانياً — اهتمام العالم العربي ملوكاً وأفراداً ووزراء وشعباً بتمويلها ووقف المزارع والأملاك والمرافق لدوام عملها وترقية شؤونها .

ثالثاً — تنظيمها وحسن ادارتها وبذل العناية في هندستها وأثاثاتها .

رابعاً — تخصيص أهم الأطباء للتعليم والتدريس والتمريض فيها .

خامساً — فتحها للعامة والخاصة ، للذكور والاناث .

سادساً — تقسيمها الى فروع وجعل كل فرع خاصاً بقسم من الأمراض .

سابعاً — ربط المدارس الطبية والمكتبات والصيدليات بها .

ثامناً — تزويدها بكل ما تحتاج اليه من مؤونة وزاد وغذاء وأدوية وألبسة ومفروشات، وأشربة وأدوات ، ومياه نقية ونور وتهوية ، وأسرة وأغطية، وجعل وظائف أصحابها من أجل الوظائف ورتبهم من أرقى الرتب .

تاسعاً — اعطاء أطبائها وناظريها المرتبات الوفيرة عدا تقديم ما يقوم بكفايتهم من الأرزاق والهبات والجراية وعلوفة الدابة .

عاشراً — جعلها مرجعاً للتجارب ، وتدوين المشاهدات والنتائج ، ومركزاً للتأليف والاكتشاف والاختراع ، ودائرة لامتحان الأطباء والصيادلة واعطاء الاجازات .

وفي كتاب تاريخ البيمارستانات في الاسلام للدكتور أحمد عيسى تفصيل هام وأدلة وافية وصور عن الوقفيات المتعلقة ببيمارستان المنصوري ، والمعتضد ،

والنوري ، وصور عن المراسيم التي كان يصدرها الملوك لمن يتولى الطبابة والادارة والخدمة فيها ، والكل يؤيد ما قلناه عن عناية العرب ومبلغ اهتمامهم بهـا وبايصال النفع العام لرعاياهم .

وكمثال على مقدار العناية والاهتمام يقول الدكتور في صحيفة ٨٦ وفي صفر ٦٨٠ هـ الموافق لعام (١٢٨١) م :

« ولما تكامل البيمارستان (يعني المنصوري) الذي أنشأه الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي بخط بين القصرين (هما القصر الكبير الشرقي الذي بناه جوهر قائد الفاطميين عام ٣٦٠ والقصر الصغير الذي بناه العزيز بالله أبو منصور نزار سنة ٤٥٠ هـ) من القاهرة ، وكان ذرعه (١٠٦٠٠) ذراعا . ركب السلطان وشاهده وجلس بالبيمارستان ومعه الأمراء والقضـاة والعلماء ، وأخبر بعض من شهد السلطان وشهد عليه أنه استدعى قدحاً من الشراب فشربه ، وقال قد وقفت هذا على مثلي فمن دوني وأوقفه السلطان على الملك والمملوك ، والكبير والصغير ، والحر والعبد ، والذكر والانثى ، وجعل لمن يخرج منه من المرضى عند برئه كسوة ، ومن مات جهز وكفن ودفن . ورتب الحكماء الطبائعية والكحالين ، والجرائحية ، والمجبرين لمعالجة الرمد والمرضى والمجروحين والمكسورين من الرجال والنساء . ورتب به الفراشين والفراشات والقومة لخدمـة المرضى واصلاح أماكنهم وتنظيفها وغسل ثيابهم وخدمتهم في الحمام[1] ، وقرر لهم على ذلك الجامكيات الوافرة ، وعملت الفرش والقفوت والطراريح والأقطاع والمخدات واللحف والملاءات لكل مريض فرش كامل ، وأفرد لكل طائفة من المرضى أمكنة تختص بهم ، فجعلت الأواوين الأربعة المتقابلة للمرضى بالحميات وغيرها ،

(١) كان الأوربيون يجهلون الحمام ، وكانت مشافيهم كالزرايب ينام المريضان منهم في فراش واحد ، وكان غسل الجسم بالماء والصابون غير مستحب في نظر أطبائهم ، وفرش المرضى كانت منتنة من الرائحة القذرة والعرق .

وجعلت قاعة للرّمد ، وقاعة للجرحي ، وقاعة لمن أفرط به الاسهال ، وقاعة للنساء ، ومكان حسن للممرورين[1] من الرجال ومثله النساء ، والمياه تجري في أكثر هذه الأماكن ، وأفردت أماكن لطبخ الطعام والأشربة والأدوية والمعاجين وتركيب الأكحال والشيافات[2] والسفوفات ، وعمل المراهم والأدهان ، وتركيب الدرياقات (الترياقات)[3] وأماكن لحواصل العقاقير وغيرها من هذه الأصناف المذكورة ، ومكان يفرّق منه الشراب وغير ذلك مما يحتاج اليه ، ورتب فيه مكان يجلس فيه رئيس الأطباء لإلقاء درس طب ينتفع به الطلبة ، ولم يحصر السلطان أثابه الله هذا المكان المبارك بعده في المرضى يقف عندها المباشر ويمنع عداها ، بل جعله سبيلاً لكل من يصل اليه في سائر الأوقات من غني وفقير ، ولم يقتصر فيه على من يقيم فيه من المرضى بل رتّب لمن يطلب وهو في منزله ما يحتاج اليه من الأشربة والأغذية والأدوية حتى ان هؤلاء زادوا في وقت من الأوقات على مائتين غير من هو مقيم بالبيمارستان » .

ولا يقل الاعتناء والاهتمام ببقية البيمارستانات أينما كانت عما تقدم بيانه ، ولكن ظروف الزمن وتبدل الحكام ووقوع البلاد العربية تحت حكم الأعاجم والأجانب من مغول وتاتار وصليبيين وعثمانيين جعلها قفرة ، وأضاع أوقافها ووقفياتها ، وبدل معالمها ، وهدم أقسامها ، وشوّه محاسنها ، وكانت في ذلك الحين صورة حية تنطق عن حضارة العرب وما أسدته للعالم من فضل على العلم والطب وخدمة الإنسان وحفظ الحياة والمجتمع .

واذا كنا في استعراضنا لم نستوف المطلوب لبيان سلسلة التطور الطبي والطبابة ، وكان علينا أن نسهب في ذكر الكتب التي ألّفها العرب والمسائل التي فاقوا بها

---

(١) الممرور : من تهيجت فيه المرّة أي السوداء فأثرت على عقله .
(٢) الشيافات : هي الفتايل . مفردها شيافة أو فتيلة .
(٣) الترياق : هو المركب الذي يشفي من السم .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

من تقدمهم والمكتشفات التي اكتشفوها في أسباب العلل والأمراض ، والأدوية التي اخترعوها لمداواتها ، والآلات الجراحية التي توصلوا الى صنعها للقيام بالعمليات الجراحية ، ومن هم الأطباء الذين غدوا نجوماً في سماء العلم والتعليم يضيئون بنورهم على من كان في زمانهم ومن أتى بعدهم ، وما هي الاختراعات التي وصل اليها العرب في الكيمياء والصيدلة ، والمعالجة ، والتشخيص ، والتحليل وبقية العلوم الطبية وغير الطبية ، فلأن استيفاءها والتفصيل فيما يقتضيه الشرح والتفصيل يحتاج الى مجلدات ويخرجنا عن الموضوع ويبعدنا عن النتيجة التي نريد أن نصل اليها . وخير لنا أن نجيب أخيراً على السؤال الذي سألناه : هل من الضروري أن تتغيّر أخلاقنا وآدابنا الطبية وتراثنا المهني وصفاتنا الاجتماعية التي اتصف بها أجدادنا الذي رفعوا شأن العلم والطب ؟ فأقول كلا ! لأن المقاييس العلمية والطبية والأخلاقية التي رفعت شأنهم وشأن من تقدمهم وحفظت مكانتهم لا تزال ذات المقاييس في قيمتها وصحتها ولو تبدل الزمن ، وتبدلت مناهج التعليم ، وتضاعفت مواد التدريس وعلا شأن الطب في ساحة المعرفة والاكتشاف والاختراع .

أما أماكن التدريس وكيفية التحصيل وأنواع الكتب التي كانت مواد دراساتهم ومناهج تلك المعاهد فيمكن الوصول الى معرفتها مستخلصين ذلك مما قاله ابن أبي أصيبعة ، والقفطي ، وتاريخ الطب للدكتور أمين أسعد خير الله . فابن أبي أصيبعة يقول : « وكان يلحق بالمستشفيات الكبيرة مدارس للطب ، فكان الطلبة يجتمعون في القاعة الكبرى حيث كانوا يراجعون دروسهم وينسخون المخطوطات الطبية التي راجعها أساتذتهم وأصلحوها لهم ، وكان هؤلاء يلقون عليهم الدروس من مؤلفات جالينوس والرازي وابن المجوسي حتى ظهر قانون ابن سينا [1] الذي كسف التعاليم السابقة . »

(١) هو أهم كتاب طبي عربي جمع ما وصل اليه علم الطب والطبابة حتى زمن الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا ، وبقي مرجعاً للدرس والتدريس لكل من أتى بعده مدة ثمانية قرون في الشرق والغرب .

« ولمشاهدة التطبيقات ونتائج النظريات التي يدرسونها كان الطلبة والمساعدون يفحصون المرضى في العيادة الخارجية ويعرضون الحوادث الصعبة على رئيس العيادة ، وكانت الحوادث المهمة تشرح لهم شرحاً وافياً ويوصف لها العلاج اللازم » .

ويصف لنا في كتابه (عيون الأنباء) كيف كان يتلقى هو الطب ، وكيف كانت الأساتذة يلقون دروسهم ويمرنون طلابهم ، قال : « ولما أقام الشيخ مهذب الدين[1] بدمشق شرع في تدريس صناعة الطب واجتمع اليه خلق كثير من أعيان الأطباء وغيرهم يقرأون عليه وأقمت أنا بدمشق لأجل القراءة عليه ، وقبلها كنت أشتغل عليه في المعسكر لما كان أبي والحكيم مهذب الدين في خدمة السلطان الكبير – يريد به الملك العادل نور الدين منشئ البيمارستان الكبير في دمشق – فبقيت أتردد اليه مع الجماعة ، وشرعت في قراءة كتب جالينوس وغيرها . وكان خبيراً بكل ما يقرأ عليه من الكتب ، وكان طلق اللسان ، حسن التأدية للمعاني ، ثم لازمته أيضاً في وقت معالجته للمرضى في البيمارستان وتدربت معه في ذلك وباشرت أعمال الصنعة . وكان في ذلك الزمن في البيمارستان الشيخ رضي الدين الرحبي وهو من أكبر الأطباء سناً وأعظمهم قدراً وأشهرهم ذكراً فكان يجلس على دكة ويكتب لمن يأتي الى البيمارستان ويستوصف منه للمرضى أوراقاً يعتمدون عليها ويأخذون من البيمارستان الأشربة والأدوية التي يصفها ، فكنت بعدما يفرغ الحكيم مهذب الدين والحكيم عمران

(١) الشيخ مهذب الدين : هو أبو محمد عبد الرحيم بن علي بن حامد ويعرف بالدخوار ، انتهت اليه رياسة صناعة الطب ومعرفتها . مولده في دمشق وكان أبوه علي بن حامد كحالاً مشهوراً ثم أخوه حامد بن علي . وجد له مائة مجلد وأكثر بخطه بالطب وغيره من العلوم . خدم الملك العادل أبا بكر بن أيوب بصناعة الطب ، وترأس البيمارستان النوري (نور الدين محمود بن زنكي) ثم في عام ٦٠٤ أصبح طبيب الملك العادل وطبيب العسكر وكان يتناول مائة دينار كل شهر ورواتب مثلها ، وتولى رئاسة أطباء مصر أيضاً .

من معالجة المقيمين بالبيمارستان وأنا معهم أجلس مع الشيخ رضي الدين الرحبي فأعاين كيفيـة استدلاله على الأمراض وجملة ما يصفه للمرضى وما يكتب لهم وأبحث معه في كثير من الأمراض ومداواتها » .

ومما سبق يتضح أنه عدا المحاضرات التي كانت تعطى للطلبة على المرضى كانت تكتب التعليمات اللازمة (الوصفات) وتنفذ بدقة وتدون الملاحظات عن كل مريض متتبعة سير المرض . وقد قيل ان الرازي بنى كتابه (الحاوي) على هذه الملاحظات . وكان للأطباء الحرية بالتجربة للأدوية الجديدة التي كانت تدون معلوماتها في كتاب خاص تنشر تحت عنوان (المجربات) .

ولم تكن مدارس الطب تابعة للمستشفيات دائماً ، فقد كان هنالك مدارس خاصة ، فالطبيب الغني والمشهور مهذب الدين الدخوار المار ذكره سابقا والذي مات بلا عقب أوقف منزله بدمشق ليكون مدرسة للطب ووقف عليها الممتلكات والقرى ليقوم ايرادها بنفقات المستشفى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويقول ابن أبي أصيبعه : « ولم يكن يصرح لأحد بتعاطي الطبابة إلا بعد فحص قانوني . وقد بلغ الخليفة العباسي المقتدر بالله في عام ٩٤٩ أن أحد الأطباء في بغداد أخطأ علاج مريض وتوفي المريض بسبب الخطأ ، فأصدر أمره بفحص جميع الأطباء (ماعدا الأطباء القائمين بخدمته) قبل التصريح لم بتعاطي الطب وكان عددهم في بغداد وحدها (٨٦٠) طبيباً عدا أطباء الخليفة .

وكان أطباء المستشفيات يختارون بعناية خاصة دقيقة ، فالرازي انتخب لرئاسة المستشفى العضدي في بغداد من بين مائة طبيب . ويقال ان عضد الدولة لما بنى البيمارستان العضدي قصد أن يكون فيه جماعة من أفاضل الأطباء وأعيانهم فأمر أن يحضروا له ذكر المشهورين ببغداد وأعمالها ، فكانوا متوافرين على المائة فاختار منهم خمسين بحسب ما علم من جودة أحوالهم وتمهرهم في صناعة الطب ، فكان الرازي منهم . ثم انه اقتصر من هؤلاء أيضاً على عشرة فكان الرازي

منهم ، ثم اختار من العشرة ثلاثة فكان الرازي أحدهم ، ثم ميّز بينهم فبان له أن الرازي أفضلهم فجعله (ساعور) البيمارستان العضدي و (الساعور) معناه (عميد الأطباء والمشرف على المستشفى) . وكانت المستشفيات الإسلامية أشهرها المستشفى العضدي في بغداد ، والمستشفى المنصوري في القاهرة ، والمستشفى النوري في دمشق . وكان يوجد غيرها في مختلف العواصم العربية بما يزيد عن ثلاثين مستشفى لم تصل الى ما وصلت اليه من الرقي والروعة والكثرة وضخامة البناء ، واتقان الهندسة ، وحسن الادارة ، ، ووفرة الأطباء إلاّ بعد أن استكمل العرب نهضتهم ونضوج معارفهم واتساع علمهم » .

ونحن مهما ذكرنا عن فضل العرب في انقاذ الطب والعلوم القديمة المتصلة به من الضياع ، ومهما قلنا عن ترتيبها والاضافة اليها وتسليمها الى أوروبا منسقة واضحة فيكفي أن ننقل ما قاله (لستون) وغيره عن ذلك كبرهان على صحة قولنا .

يقول (لستون) : « ان لم يكن للعرب من فضل غير هذا لكفاهم فخرا » .

ويقول الدكتور أمين خير الله : « ولو فرضنا أن العرب لم يضيفوا شيئاً الى معلومات القدماء فمن الاهمية بمكان أنهم أنقذوا تعاليم أبيقراط وجالينوس وحفظوها للعلم والانسانية . والواقع أنهم لم يكتفوا بانقاذها فحسب بل أضافوا اليها أشياء كثيرة وقاموا بنقل العلوم اليونانية والهندية والفارسية وعلوم باقي البلدان المتحضرة في زمانهم ، ووعوا وتفهموا المنطق والفلسفة والفلك والهندسة ، والتاريخ ، والآداب ، والموسيقى ، والكيمياء ، والزراعة ، والبناء والعمران ، وتفهموا جميع هذه العلوم وأضافوا اليها دروسهم واختباراتهم وأنشأوا مدنيـة عربية صحيحة وأعطوها الى العالم » .

ثم يقول : « واذا عدنا الى الماضي القريب لنتفقد عصر التمدن الإسلامي وزهوه في الغرب والشرق نجد أنه من أكبر الأسباب في نهضة أوروبا ، فالمذاهب العلمية فيها وليدة الثقافة والعلوم العربية ، ونهضتها نتيجة تعاليم ابن سينا

والرازي والمجوسي وابن زهر والزهراوي في الطب ، والكندي والفارابي وابن سينا وابن رُشد والغزالي وابن طفيل وابن العربي في الفلسفة ، والطوسي وعمر الخيام وابن يونس والمجريطي والبيروني والخوارزمي في الفلك والحساب ، وابن الهيثم وابن الكندي وابن الصلت في الطبيعيات ، وابن البيطار وابن الصوري وابن وحشية في النبات ، وابن حيان والرازي والزهراوي في الكيمياء .

وللعرب يعود الفضل في رفع مقام الطب وفي اقامة المستشفيات الراقية وفي انشاء وتوسيع الصيدلة ، وجعل الجراحة قسماً منفصلاً عن الطبابة ، وفي التصريح الشرعي لممارسة الطب والصيدلة ، وكان لهم الحظ الأوفر في توضيح المذاهب الفلسفية وحفظها للذرية ، وفي فصل العلم عن الدين ومحاولة التوفيق بين الاعتقاد والبرهان ، وهم الذين أعطوا الروح العلمية الصحيحة للغرب ، وكانت سبباً لايجاد طريقة (باكون) العلمية ، وطدوا العلماء البحث عن أسباب الأشياء ذاهبين من المعلوم الى المجهول ، فلا يقطعوا حقيقة أمر إلا بعد التثبت من صحته بالتجربة المكررة أو بالملاحظة الدقيقة . وكانت الكيمياء عند العرب كيمياء تجربة ، فالرازي عرف خواص الزئبق بتجربة استعماله على القرود ، وماسويه شرّح قرداً كبيراً وكتب كتاباً عما وجده ، وكانوا اذا لم توصلهم الملاحظة الى الغاية المطلوبة يلجأون الى طريقة المنطق والتحليل وبها اكتشف ابن نفيس الدورة الدموية الرئوية ، واكتشف ابن الخطيب العدوى في الوافدات . وقبل أن يبدأ باراسلوس اصلاحه الطبي في أوروبا كان العرب قد أدخلوا المنطق والبحث الطبي العلمي وخالفوا التعاليم التي لا تنطبق على منطقهم واختبارهم مهما كان مصدرها » .

وكما استقبل (سقراط) الموت في سبيل عقيدته وعلمه كذلك ثلاثة من أطباء العرب المشهورين استقبلوا الموت بهدوء وشجاعة ، فابن سينا رفض أن

يتعاطى الدواء وباع كل ما يملكه ووزع ثمنه على الفقراء ، وانقطع الى العبادة وكان يتلو القرآن مرة كل ثلاثة أيام . والرازي رفض أن يعالج مقلتيه بعد أن أضنى بصره في التجارب والبحث والكتابة قائلاً بأنه قد رأى من العالم ما يكفيه . وابن زهر رفض أي اسعاف وقال لولده الذي كان يقوم بخدمته أنه اكتفى من الحياة .

وبعد هذا ما هي الكتب التي كانوا يدرسونها ؟ هل هي كتب الترجمة فحسب أم كتب أخرى ألفها العرب ؟

من يدقق فيما قدمناه من الاستعراض يتبين له أن طلاب الطب في المستشفيات والمعاهد العلمية كانوا يدرسون أولاً الكتب الأدبية ، ثم الكتب الدينية ، ثم الكتب الطبيعية ، ثم الكتب الرياضية والفلسفية ، ثم ينتقلون الى الكتب الطبية . وكان الطلاب يتبعون سيرة أساتذتهم الذين يلازمونهم في جميع مراحل الدراسة حتى إذا أتموها ووثقوا من أنفسهم في بلوغ الغاية ، ووثق أساتذتهم من كفايتهم وأخلاقهم وعلمهم تقدموا للامتحان وأخذ الإجازة في البيمارستانات الشهيرة بعد نجاحهم .

أما الكتب فكانت حتى أيام ابن سينا المجموعة المترجمة عن أبقراط وجالينوس وديوسقوريدس[1] ، وقد أتينا على ذكرها ، ثم ما ألفه الأطباء الذين أتى بهم جعفر المنصور والرشيد والمأمون ومعظمهم من السريان النسطوريين ومن الصابئة كجورجيس بن بختيشوع وجبرائيل أخيه وعبد الله بن جبرائيل ، وبختيشوع ابن حنا ، وحنين بن اسحاق ، وحبيش الأعسم ، والكندي ، واسحاق بن

(١) ويحيى النحوي ، وقسطا بن لوقا . اما الكتب فقد ذكرناها وهي لأبقراط وجالينوس وعددها (١٦) كتابا كان يقرأها المتطببون على الولاء ، وهناك كتب أخرى هي من ترجمة حبيش وديسقوريدس واصله من عين (زربي) من أعمال حلب ويقال له السائح في البلاد .

حنين ، وثابت بن قره ، ومنان بن ثابت ، وأبو بشر بن متى ، ويوحنا بن ماسويه . وقد تبين أن معظم الكتب المترجمة كانت بين عام (٧٥٠—٨٥٠) بعد الميلاد .

ومن هذه الكتب المترجمة التي ذكرها ابن النديم في فهرسته وابن أبي أصيبعة في تاريخه طبقات الأطباء : (٤٦ كتاباً طبياً ليوحنا بن ماسويه ، و ٨٤ كتاباً ورسالة طبية لحنين بن اسحاق وهي لابقراط وجالينوس عدا ما ترجمه من غير الكتب الطبية ، ولقسطا بن لوقا البعلبكي ٣٢ كتاباً في الطب و ٢٩ كتاباً في الفلك والمنطق والرياضيات والفلسفة ، والكندي ٣٢ كتاباً طبياً ، ولثابت بن قرة ٤٥ كتاباً) .

وأما التي ألفت فهي شروح ، أو اختصارات ، أو تعليقات ، أو زيادات على ما ترجم ، ولكن عندما ظهر أبو بكر محمد بن زكريا الرازي عام ٣٢٠ — ٣٦٤ هجري بدأ العرب في اثبات كفايتهم وتدوين ثمار اختباراتهم وتأليف كتبهم الطبية بعد نضوج تحقيقاتهم وتجاربهم وتجرباتهم ، وبذلك يكون الطب والطبابة قد انتقلا من المرحلة القديمة إلى المرحلة الجديدة في تاريخ النهضة العربية والثقافة العلمية الطبية ، مرحلة الاكتشاف ، والاختراع ، والتقرير عن التجارب ، والتأليف .

والرازي طبيب المسلمين غير مدافع ، مسلم النحلة ، مشهور في علم المنطق والهندسة ، كان في ابتداء أمره يضرب بالعود ثم تركه وأقبل على تعلم الفلسفة فنال منها كثيراً ، وألف كتباً كثيرة أكثرها في صناعة الطب ، وسائرها في ضروب من المعارف الالهية والطبيعية . وكان طبيب المارستان في الري ، ثم طبيب المارستان في بغداد ، بقي فيه طويلا ، وكان بينه وبين منصور بن اسماعيل

صداقة وله ألف كتابه « المنصوري » [1] ثم في آخر عمره عمي بماء نزل على عينيه ولم يسمح بقدحها ، وكان في دولة المكتفي وفي بعض زمن المقتدر . والرازي من حيث وصفه وسيرته يقول أحد عارفيه محمد بن الحسن الوراق : « كان شيخاً كبير الرأس ، مسفطا ، وكان يجلس في مجلسه ودونه تلاميذه ودونهم تلاميذ أخر ، وكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لأول من تلقاه فان كان عندهم علم والا تعداهم الى غيرهم ، فاذا أصابوا والا تكلّم الرازي في ذلك وكان كريماً متفضلاً باراً بالناس ، حسن الرأفة بالفقراء والاعلاء ، حتى كان يجري عليهم الجرايات الواسعة ويمرضهم ، وكان لا يفارق المدارج والنسخ ، وما دخل عليه واحد إلاّ وجده ينسخ أو يسوّد أو يبيّض . وقد تلقى الفلسفة عن البلخي ، وكان البلخي يطوف البلاد ويجول الأرض ، حسن المعرفة بالفلسفة والعلوم القديمة » .

ومما هو معروف في كتب الطب أن الرازي كان أول من وصف الحصبة والجدري ولا يزال وصفه معروفاً في جميع الكتب القديمة والحديثة . وصنف كتاباً آخر سماه « الملوكي » قدمه لعلي ابن صاحب طبرستان ، وفي أول أيامه تعلق بالكيمياء وله تصانيف أيضاً فيها .

وكان الرازي يرمي إلى اثبات امكان تحول العناصر ووحدة الجوهر ، وفي سبيل هذه العقيدة قام بتجاربه التي أدت إلى اكتشاف كثير من المركبات

(١) « المنصوري » : ألّفه الرازي لمنصور بن اسماعيل بن خاقان صاحب خراسان وما وراء النهر . وكتابه « الحاوي » وضعه في ثلاثين مجلداً ويسمى (الجامع الحاصر لصناعة الطب) . وله تآليف وكتب اخرى يبلغ عددها ما يزيد عن مائة وخمسين عدداً ، وكان عمره ثلاثين سنة عندما قدم الى بغداد وفيها تعلم الطب ودرّس . ومن رسائله المشهورة : (كتاب الجدري والحصبة ، كتاب الأدوية الموجودة في كل مكان ، كتاب الفالج ، كتاب القوة ، كتاب النقرس والعرق المدني ، كتاب اوجاع المفاصل ، كتاب الأذنين ، كتاب هيئة العين الخ)

الكيميائية . وكتابه « الحاوي » المشهور بين كتبه الثلاثة أنه لابن عباد ولكن الأجل لم يفسح له المجال فلم يخرجه إلى الوجود ولكن أخرج ورتب بعد وفاته ، وأما كتبه الأخرى ورسائله فهي كثيرة تناولت علوم الطب ، والالهيات ، والفلسفة والطبيعيات ، والكيمياء ، وعلم النفس . وفي كل ما كتب وألف كان علماً لا يجارى في قوة تفكيره ، وسعة احاطته ، ودقة ملاحظته ، وعمق فلسفته ، وصحة منطقه ، وصدق تجاربه .

وبعد الرازي ظهر الفارابي وذلك في عام ٣٣٩ هـ ، وكان الفارابي من مدينة (فاراب) وهي مدينة من بلاد الترك في أرض خراسان ثم سافر إلى بغداد وبقي فيها مدة وانتقل إلى الشام ، ولما دخل بغداد كان يعرف التركية وعدة لغات غير العربية ، فأتقن اللغة العربية وبلغ فيها غاية الاتقان وأخذ المنطق عن أبي بشر بن متى بن يونس الحكيم المشهور ثم ارتحل إلى مدينة (حران) وفيها يوحنا بن حيلان الحكيم النصراني فأخذ عنه طرفاً من المنطق أيضاً وبعدها رجع إلى بغداد وقرأ علوم الفلسفة وتناول جميع كتب أرسطاطاليس وتمهر في اخراج معانيها والوقوف على أغراضه فيها . ويقال أنه وجد كتاب النفس لأرسطاطاليس وعليه مكتوب بخط الفارابي أني قرأت هذا الكتاب مائة مرة ولم يزل ببغداد مكباً على الاشتغال بهذا العلم إلى أن برز فيه وفاق أهل زمانه وألف به معظم كتبه [1] ، ثم سافر من بغداد إلى دمشق ولم يقم بها ثم توجه إلى مصر عام ٣٨٣ هـ .

(١) الفارابي لم تطبع كل كتبه ، والمطبوع منها : (١) آثار اهل المدينة الفاضلة (٢) الابانة عن غرض ارسطاطاليس (٣) كتاب ما بعد الطبيعة (٤) الثمرة المرضية في بعض الرسالات الفارابية . (٥) رسائل الفارابي . (٦) شرح الفصوص . (٧) عيون المسائل . (٨) كتاب الموسيقى . (٩) مبادىء الفلسفة القديمة . (عن معجم المطبوعات العربية — السيد يوسف اليان سركيس) .

ويقول عنه ابن أبي أصيبعة : « كان رحمه الله فيلسوفاً كاملاً ، وإماماً فاضلاً ، قد اتقن العلوم الحكمية ، وبرع في العلوم الرياضية ، زكي النفس، قوي الذكاء متجنباً عن الدنيا ، مقتنعاً منها بما يقوم بأوده ، يسير سيرة الفلاسفة المتقدمين ، وكان له قوة في صناعة الطب وعلم بالأمور الكلية منها ولم يباشر أعمالها ولا حاول جزئياتها . ولما دخل دمشق كان في أول أمره ناطوراً في بستان ، وهو على ذلك دائم الاشتغال بالحكمة والنظر فيها والتطلع إلى آراء المتقدمين وشرح معانيها ، وكان ضعيف الحال حتى أنه كان في الليل يسهر للمطالعة والتصنيف ويستضيء بالقنديل الذي للحارس وبقي كذلك مدة ثم عظم شأنه وظهر فضله واشتهرت تصانيفه وكثرت تلاميذه وصار أوحد زمانه وعلامة وقته ، واجتمع به الأمير سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي وأكرمه اكراماً كثيراً وعرفت منزلته عنده وكان له مؤثراً . »

« وقيل ان الفارابي لزهده لم يكن يتناول من سيف الدولة من جملة ما ينعم به عليه سوى أربعة دراهم فضة في اليوم يخرجها فيما يحتاجه من ضروري عيشه ، ولم يكن معتنياً بهيئة ولا منزل ولا مكسب . وكان في أول أمره قاضياً فلما شعر بالمعارف نبذ ذلك وأقبل بكليته على تعلمها ، ولم يسكن إلى نحو من أمور الدنيا البته ، وكان يذكر أنه كان يخرج إلى الحراس بالليل من منزله يستضيء بمصابيحهم فيما يقرأه ، وكان في صناعة الموسيقى وعملها قد وصل إلى غاياتها وأتقنها اتقاناً لا مزيد عليه ، وهو الذي صنع آلة غريبة يسمع منها ألحاناً بديعة يحرك بها الانفعالات . »

وقال القاضي ابن صاعد بن أحمد بن صاعد في التعريف بطبقات الأمم : « أن الفارابي أخذ صناعة العلم الحكمي على يوحنا بن حيلان المتوفى في مدينة السلام . وكان يجتمع بابن السراج فيقرأ عليه صناعة النحو وابن السراج يقرأ

عليه صناعة المنطق . وسئل « أبو نصر » من أعلم أنت أو أرسطو ؟ فقال : « لو أدركته لكنت من أكبر تلاميذه » .

ويدلنا على شغفه في أرسطو وكتبه أنه قال : قرأت السماع لأرسطو أربعين مرة وأرى أني محتاج إلى معاودته .

ولأبي نصر من الكتب ما ينوف عن السبعة وتسعين كتاباً ورسالة ومقالة تنوعت مواضيعها في شتى العلوم والأدب والاجتماع ، والفلسفة ، والالهيات ، والرياضيات ، والكيمياء ، والموسيقا ، وعلم العدد وغيرها .

وحياة الفارابي تمثل الانقطاع للعلم ، والتجرد للدرس ، والزهد في الدنيا ، وما في الدنيا من زينة ومفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد . وكان قد لقي الأمير سيف الدولة الحمداني وهو في حلب ثم صحبه الأمير معه إلى دمشق ، وفي عام ٣٣١ ألف كتابه (المدينة الفاضلة) وسافر إلى مصر عام ٣٣٨ ورجع إلى دمشق وتوفي بها في رجب سنة ٣٣٩ عند سيف الدولة في خلافة الراضي وصلى عليه الأمير في خمسة عشر رجلاً من خاصته .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وللفارابي دعاء صوفي شهير وقد جاء فيه هذه الأبيات وهي من شعره تكشف لنا عما انطوت عليه روحه الصوفية من عقيدة وحب آلهي . قال الفارابي :

يا علة الأشياء جمعاً والذي ... كانت به عن فيضه المنفجر
رب السماوات الطباق ومركز ... في وسطهن من الثرى والأبحر
اني دعوتك مستجيراً مذنباً ... فاغفر خطيئة مذنب ومقصر
هذب بفيض منك رب الكل من ... كدر الطبيعة والعناصر عنصري

ومع أنه تعلم الطب ولكن ميله للفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضيات غلب عليه فكان من أكبر فلاسفة الاسلام ، ولم يزاول الطب الصنعة بل أحاط به احاطة تامة وارتشف من حياضه حتى اطفأ ظمأه ثم انعكف على التبحر في المنطق وما وراء الطبيعة فكان له ما أراد من فهم وعلم واطلاع وتأليف وانتاج ، ومع

ما كتبه من الكتب العديدة التي أشرنا إليها فانه ألف في الطب كتباً كثيرة ودبّر مارستان الري ثم مارستان بغداد أيام المكتفي . ومن الأسف أن كتبه الطبية ضاع أكثرها ولم ينشر منها ما يذكر ، وأما كتبه الفلسفية فقد نشر منها وطبع : (آثار أهل المدينة الفاضلة ، وما بعد الطبيعة ، والإبانة عن غرض أرسطاطاليس ، وبعض رسالات ترجمت الالمانية ، وكتاب عيون المسائل في المنطق ومبادىء الفلسفة ، وشرح فصوص الحكم ، وكتاب عيون المسائل ، وكتاب الموسيقى) وبقية تآليفه لا تزال في عالم الخفاء كما خفي قبره من الوجود .

وبعد الفارابي يجدر بنا ذكر شيخ الأطباء « جالينوس » عصره الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا . وهو وان كان أشهر من أن يذكر وفضائله أظهر من أن تسطر ، فانه وصف سيرته وأحواله بما يغني غيره عن وصفه . ولد عام ٣٧٠ وتوفي عام ٤٢٨ .

قال ابن سينا : « ان أبي كان رجلاً من أهل « بلخ » (١) وانتقل منها إلى بخارى أيام نوح بن منصور واشتغل بالتصرف والعمل في أثناء أيامه بقرية يقال لها « خرميثن » من ضياع بخارى وهي من أمهات القرى وبقربها قرية يقال لها « أفشنه » وتزوج أبي منها بها ، وقطن بها ، وولدت منها بها ، وولد أخي ، ثم انتقلنا إلى بخارى وأحضرت معلم القرآن ومعلم الأدب حتى كاد يقضى مني العجب . وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين ويعد من الاسماعيليين ، وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم وكذلك أخي . وكان ربما تذاكرا بينهما وأنا أسمع منهما وادرك ما يقولانه وابتدءا يدعوانني أيضاً اليه ويجريان على لسانهما ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند ، وأخذ يوجهني

(١) بلخ : كانت القصبة السياسية لولاية خراسان ثم أصبحت المركز الثقافي والديني لمملكة طخارستان . وفي عام ٣٣ ﻫ شدّ عليها الحصار ابن قيس الأحنف حتى فتحها ، وبعد زمن اجتاحتها قبائل جنكيزخان ودحرتها وذلك في عام ٦١٦ ﻫ و ١٢١٢ م .

إلى رجل كان يبيع البقل ويقوم بحساب الهند حتى أتعلم منه ، ثم جاء إلى بخارى أبو عبد الله الناتلي وكان يدعي الفلسفة وأنزله أبي دارنا رجاء تعلمي منه ، وقبل قدومه كنت اشتغل بالفقه والتردد فيه إلى اسماعيل الزاهد وكنت من خيرة السائلين وقد ألفت طرق المطالبة ووجوه الاعتراض على الوجه الذي جرت عادة القوم به ، ثم ابتدأت بكتاب (ايساغوجي) ومعناه (المقولات = أو المقدمة للفلسفة) على الناتلي ولما ذكر لي حد الجنس أنه المقول على كثيرين مختلفين بالنوع في جواب ما هو ؟ فأخذت في تحقيق هذا الحد بما لم يسمع بمثله وتعجب مني كل العجب وحذّر والدي من شغلي بغير العلم ، وكان أي مسألة قالها لي أتصورها خيراً منه حتى قرأت ظواهر المنطق عليه ، وأما دقائقه فلم يكن عنده منها خبر . ثم أخذت أقرأ الكتب على نفسي وأطالع الشروح حتى أحكمت علم المنطق وكذلك كتاب اقليدس في الهندسة فقرأت من أوله خمسة أشكال أو ستة عليه ثم توليت حلّ بقية الكتاب بأسره ، ثم انتقلت إلى « المجسطي » (كلمة يونانية معناها الأكبر) وهو كتاب يبحث عن الفلك ، ولما فرغت من مقدماته وانتهيت إلى الاشكال الهندسية قال لي الناتلي تولّ قراءتها وحلّها بنفسك ، ثم اعرض عليّ ما تقرأه لأبيّن لك صوابه من خطئه . وما كان الرجل يقوم بالكتاب ، وأخذت أحلّ ذلك الكتاب . فكم من شكل مشكل ما عرفه إلا وقت ما عرضته عليه وفهّمته إياه ، ثم فارقني الناتلي متوجهاً إلى (كركانج = مركز لمقاطعة خوارزم) واشتغلت بتحصيل الكتب من الفصوص والشروح من الطبيعي والالهي ، وصارت أبواب العلم تنفتح عليّ ثم رغبت في علم الطب وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه . وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة فلا جرم أني برزت فيه في أقل مدة حتى بدأ فضلاء الطب يقرأون عليّ علم الطب .

(يتبع) عبد الرحمن الكيالي

العلاقات الجوهرية

بين اللغتين العربية والآرامية «السريانية»

في النواحي التاريخية والفنية واللغوية والأدبيـة

— ٥ —

٢ — صور الحروف الأبجدية وعددها في اللغتين الآرامية والعربية :

إذا أردنا إيجاد وحدة صورية بين هاتين الأبجديتين يجب علينا الرجوع إلى أقدم صورة باقية لكتابتيهما وهما القلم الاسطرنجيلي الآرامي ، والقلم الكوفي العربي فعند مقابلة هذين القلمين يتضح لنا اتحادهما في شكل جميع الحروف تقريباً ، الأمر الذي يؤيد تأثر القلم الكوفي بالقلم الاسطرنجيلي تأثراً قوياً بعد استقلاله عن القلم النبطي الآرامي القديم ، وهذا هو السبب في جعل العلماء الخط الاسطرنجيلي وحده أصلاً للخط الكوفي العربي الذي تولدت منه سائر الأقلام العربية إلى يومنا هذا .

أما عدد صور الحروف في الأبجديتين فانها اثنتان وعشرون صورة ، مع أن اللغة العربية تحتاج إلى أكثر من هذا العدد . وقد أظهر العرب حكمة بالغة وحذقاً عظيماً في تلافي النقص في عدد الحروف المستمدة من الآرامية . وذلك أنهم لم يخترعوا صوراً جديدة للحروف الزائدة عن حاجة السريانية الآراميه ، بل عمدوا إلى الحروف نفسها فاستولدوا ستة منها سبعة أحرف جديدة تفي بحاجة اللغة العربيـة بعد اضافتها إلى الحروف الاثنين والعشرين المعروفة الموجودة في السريانية الآرامية ، وتركوها على صورتها الأصلية ، إنما عالجوا الحرف الجديد بوضع النقط اللازم بحسب الاصطلاح الجديد . وهـذه الأحرف الستة التي ولّدوا منها الأحرف السبعة الجديدة هي د . ح . ط . ع . ص . ت .

فصدرت عنها بالتسلسل سبعة أحرف هي ذ ٠ ج ٠ خ ٠ ظ ٠ غ ٠ ض ٠ ث ٠ وإنك ترى أن كل حرف أصبح حرفين الأصلي بدون نقط ٠ والجديد وضعت له النقط اللازمة ٠ الا (الحاء) وحدها ٠ فقد استولدوا منها حرفين هما (الجيم والخاء) بواسطة نقطتيها المعروفتين ٠

ومما يجدر ذكره أن العرب سلكوا سلوكاً فيلولوجياً بارعاً في هذه الطريقة لتلافي عجز الحروف القديمة التي استمدوا منها أبجديتهم الجديدة ٠ وهذا ما عمله الآراميون عند عودتهم إلى كتابة العربية بحروفهم الآرامية ٠ وهو الأسلوب المسمى بـ (الكرشوني) الذي أشرنا إليه سابقاً ٠ الا أن هناك اختلافاً بين الجانبين في بعض الحروف ٠ فان الآراميين استعملوا (الجومل) بوضع نقطة تحتها لكي تصبح (غينا) ، وبوضع نقطة في داخلها لكي تصبح (جيما) في الكتابة الكرشونية ٠ أما العرب لم يسلكوا هذه الطريقة بل أولدوا الغين من العين بوضع نقطة فوقها ٠ وأولدوا الجيم من الحاء بوضع نقطة تحتها ٠ وهكذا تمّ لهم ما أرادوا ٠

الا أن العرب لم يضعوا النقط لتمييز الحروف المزدوجة صورة الا بعد شعورهم بوقوع التباسات كثيرة في الكتابة ، وهذا هو السبب في لجوئهم إلى هذه الطريقة السهلة مع ابقاء الحرف على صورته الأصلية الممثلة في الصورة الفرعية أيضاً مع العلم أن كتباً عربية كثيرة كتبت بدون استعمال التنقيط حتى بعد اختراع هذه الطريقة ٠ وما خلا ذلك ، فمع تمادي الزمان وكثرة الاستعمال تقاربت صور أحرف أخرى بعضها من بعض فأصبحت كأنها حرف واحد لا يميز إلا بالنقط أيضاً كالزاي والراء (ز ٠ ر) والشين والسين (ش ٠ س) والقاف والفاء (ق ٠ ف) ٠ وتشابهت أيضاً صور النون والباء والياء والتاء في أول الكلمة وفي حشوها ، وهكذا تجد كثيراً من صور

الأحرف كل منها يعبر عن حرفين أو أكثر ، وصارت الحروف العربية ثمانية وعشرين حرفاً ، ولكن يعبر عنها بخمس عشرة صورة فقط .

ان حرف الخاء يولده الآراميون عند كتابتهم العربية بالأحرف الآرامية من (الكوف) أي (ك) ، أما العرب ففضلوا أن يتولد من (الحاء) نفسها بوضع نقطة فوقها ، وما تجب الاشارة إليه أيضاً أن صورة (السين والشين) في الأبجدية الآرامية النبطية هي واحدة فقط ، فسلك العرب هذه الطريقة وميزوا بينها بوضع ثلاث نقط صغيرة فوق السين لكي تصبح (شيناً) .

هذه هي الوحدة الكاملة بين صور الحروف الأبجدية وعددها في اللغتين الآرامية والعربية .

٣ — الخواص العددية في الحروف الآرامية والعربية :

تتفق الأبجديتان الآرامية والعربية بكونها تستعملان علامات للأعداد عوضاً عن الأرقام العددية ، وهذه الطريقة قديمة جداً في الآرامية وربما يرتقي تاريخها إلى العصور السابقة للمسيحية ، مع العلم أن الأمم الآرامية القدمى قد اخترعت علامات خاصة للأعداد ، فقد ظهرت هذه العلامات في الرقم الكنعانية والآرامية القديمة في انقاض مدن سورية المندرسة كما ظهرت أيضاً في نصب تدمر وكتابات الآراميين في ضواحيها [١] ثم استمدت منها طريقة خاصة في عهد المسيحية الأول في الكتب لتأريخ السنين ، ولتصوير عدد آيات فصول الكتاب المقدس ، وعلى الأخص الانجيل ، ولترقيم اعداد كراريس الكتب ، واستمرت هذه الطريقة إلى العصور المتأخرة [٢] .

أما الأرقام الهندية المعروفة اليوم في العالم العربي فلم تعرف إلى القرن السابع

(١) اللمعة الشهية ليوسف داود الجزء ١ ص ١٥٧ .
(٢) اللمعة الشهية ج ١ ص ١٥٨ .

الميلادي ، قد نبغ في هذا القرن العلامة الفيلسوف والفلكي الرياضي ساويرا سابوخت ، وعلى يده وصلت للمرة الأولى الأرقام الهندية إلى العرب ، ويظهر أن استعمالها لم يشع فبقيت عصوراً أخرى حتى أخرجت إلى الاستعمال ، ويعود الفضل في اعدادها لنا إلى الرياضي السرياني الكبير المشار إليه [1] .

أما طريقة الحروف في العلامات العددية فقد شاعت عند السريان الآراميين اكثر جداً ، فنجد جميع مخطوطاتهم مؤرخة بهذه الطريقة وعنهم أخذها العرب في العصور الأولى لظهور أبجديتهم فاستعملوها كما استعملها الآراميون قبلهم [2].

وهذه الحروف تنتظم في الأبجديتين للغاية العددية كما يأتي :

ا : ١	د : ٤	ز : ٧	ي : ١٠	م : ٤٠	ع : ٧٠	ق : ١٠٠
ب : ٢	ه : ٥	ح : ٨	ك : ٢٠	ن : ٥٠	ف : ٨٠	ر : ٢٠٠
ج : ٣	و : ٦	ط : ٩	ل : ٣٠	س : ٦٠	ص : ٩٠	ش : ٣٠٠
						ت : ٤٠٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبقية الاعداد يعبر عنها بتركيب هذه الحروف نحو :

يا : ١١	يز : ١٧	مز : ٦٧
يب : ١٢	يح : ١٨	قمح : ١٤٨
يج : ١٣	يط : ١٩	شصا : ٣٩١ الخ

وإذا رغبت في تأليف عدد بعد الـ ٤٠٠ فاقرن حروف المئات كما يأتي :

تق : ٥٠٠	تت : ٨٠٠	تش : ٧٠٠

ثم تجعل حروف الآحاد نفسها للآلاف وحروف العشرات للمئات التابعة للأربعمئة • ويشترط أن تكون أولاً الآلاف ، ثم المئات ، ثم العشرات ثم

(١) المشرق البيروتية المجلد ١٤ ص ٢٣٩ سنة ١٩١١ .

(٢) استعمل هذه الطريقة العبرانيون أيضاً أخذاً عن الآراميين وكذلك اليونانيون ـ اللمعة الشهية ج ١ ص ١٥٧ و ٤٣٩ .

الآحاد ، خوفاً من الالتباس نحو (افعو : ١٨٧٦) ، (بعنا : ٢٧٥١) ، (جقمه : ٣١٤٥) . وقد اصطلحوا أن توضع نقطة فوق حروف العشرات للدلالة على المئات ، ومن تحت حروف الآحاد خطيط قائم للدلالة على الآلاف . ومن تحتها أيضاً خطيط للدلالة على الربوات نحو (ع : ٧٠٠) ، (ننج : ٥٥٣) ، (اهمه : ١٧٤٥ الخ) .

نستنتج من استعمال الحروف الأبجدية علامات للعدد في اللغتين . ان العرب اعتبروا صراحة عدد الحروف الأبجدية ٢٢ فقط . اذ لم يخالفوا السريان الآراميين في هذه الطريقة مطلقاً وهو الذي يؤيد أن الأبجدية الآرامية هي أم الأبجدية العربية بحروفها الاثنين والعشرين الراهنة . وبالتالي اعتبر العرب أيضاً أن الحروف الابجدية الأصلية هي الاثنان والعشرين الآرامية فقط . وأما الحروف الزائدة في اللغة العربية فهي مشتقة من الحروف الأصلية كما بيّنا سابقاً .

٤ — التطور اللفظي في حروف بعض الكلمات المشتركة بين الآرامية والعربية :

من الراهن أن اللغتين الآرامية والعربية باتصالها التاريخي الطويل ، الذي يمتد إلى قلب نشوئهما ويرتقي إلى عهد ازدهارهما ونضجها ، تبادلتا مادة غزيرة يصعب حصرها في بضع صفحات ، وذلك من حيث الألفاظ والأساليب وغيرها . وأمامنا الآن الناحية اللفظية من المادة المشتركة بين اللغتين ، وتطور الحروف من حالة إلى حالة من حيث النطق بها في اللفظة نفسها . ولا ندعي أننا سنحيط بجميع تلك الألفاظ المشتركة لأن ذلك يحتاج إلى مجلدات كامنة بل نورد نماذج من ذلك التطور لنقف على حالة الحروف الأبجدية النطقية عند استعمالها في هذه المادة المشتركة بينهما مع العلم أن هناك ألفاظاً تكون الحروف هي عينها في كلتا اللغتين .

قبل أن نستعرض التطور اللفظي في الحروف المشار اليها يجب أن نعلم أن الحروف الأبجدية في اللغتين نوعان حروف علة وهي (الألف والواو والياء) ،

غير أن السريانية قد تضيف (الهاء) إلى أحرف العلة أحياناً لخضوعها في بعض الحالات اللغوية إلى ما تخضع له أحرف العلة في الاعلال والقلب والتغيير . وأما في العبرانية فان (الهاء) ملحقة بأحرف العلة دائماً تقريباً . وسميت أحرف العلة كذلك لأنها تدخل الكلمات إما أصلية أو زائدة فيطرأ عليها تغيير كبير من حذف ، وقلب ، وابدال له أو يصيب حركاتها أو حركات الحروف التي قبلها شيء من التغيير ، وتشترك اللغتان في هذه الناحية .

ومن المعروف أيضاً أن أحرف العلة كانت تقوم مقام الحركات في اللغتين قبل ظهور الحركات فيها ، كما هي الحالة في كثير من اللغات الحية الآن ؛ ويظهر أنها لم تف بحاجة النطق الصحيح ، لذلك اضطر علماؤهما الى اختراع الحركات .

والنوع الثاني من الحروف هي الصحيحة ، وهي بقية الحروف الأبجدية ؛ وأما التطور اللفظي في حروف بعض الكلمات المشتركة بين اللغتين فنجده كما يلي :

٢ — الألف (ܐ : ا) الألف في السريانية وفي العربية ، اذ لم ترد حرف علة على غرار ما أشرنا اليه الساعة ، تكون حرفاً صحيحاً حلقياً ، ويسميه نحاة العربية (الهمزة) ، ومن المعلوم أنه ليس هنالك اسم خصوصي للهمزة في السريانية كما في العربية ، وليس لها إلا علامة خاصة كما هي الحالة في العربية ، ولذلك فان الهمزة السريانية لا تكتب الا بالألف أينما جاءت .

وتكون الهمزة في اللغتين إما زائدة وإما أصلية ، والأصلية تكون في فاء الفعل وعينه ولامه (ܐܟܠ) أكل (ܫܐܠ) سأل (ܩܪܐ) قرأ . وقد تكون في لام الفعل أحياناً مقلوبة في السريانية الى حرف علة فيقال (ܩܪܐ) قرأ (ܒܪܐ) برأ .

وأما التطور الذي أصاب حرف الألف في بعض الكلمات فقد يكون أحياناً في السريانية عوضاً عن العين في العربية فيقال في فرع (ܦܪܐܐ) عوضاً عن (ܦܪܥܐ) .

وترد الألف في السريانية عوضاً عن التاء المربوطة في الأسماء المؤنثة ويقلب الفتح الذي قبل هذه التاء الى زقاق[1] نحو (ܥܠܬܐ) علة (ܡܕܝܢܬܐ) مدينة (ܡܫܒܚܬܐ) ممجدة ، وقد نجد في العربية الدارجة أمثلة كثيرة لهذه الصيغة فيقال (مدينا ، نعما ، عظما) عوض (مدينة ، نعمة ، عظيمة) وهو ما يدل على تأثير السريانية الآرامية في العربية من هذه الناحية .

٢ — الباء (ܒ : ب) كل الكلمات المشتركة بين اللغتين تستعمل الباء فيها باء دون تطور ، إلا في كلمة واحدة فتطور الباء الآرامية الى ميم في العربية ، وهي كلمة (ܐܡܬܐ) زمن ، والأظهر أن الميم في هذه اللفظة هي أصح من الباء فقد كانت لغة بابل القديمة تقول (ܐܡܬܐ لا ܐܒܬܐ) وفي اللهجات الآرامية المحكية في قرى الموصل هي الميم لا الباء فيقال (ܐܡܬ) لا (ܐܒܬ) .

٣ — الجومل (ܓ : ج) أو حرف الجيم وهذا يلفظ كالجيم المصرية وهو السبب في أن نحاة العرب اعتبروا الجيم من الأحرف القمرية لا الشمسية ، مع أنه يمكن التلفظ به كالأحرف الشمسية ، وقد أصاب هذا الحرف تطور كبير في بعض الكلمات المشتركة بين اللغتين فما يرد في السريانية (الجومل) ينقلب في العربية الى الضاد فيقال في لفظة (ܓܚܟ) ضحك . ويقلب في العبرية الى الصاد فيقال في (ܓܚܟ) צחק . ܨܚܩ صحق ، سحق . بقلب الضاد أو الجومل الى الصاد أو السين .

٤ — الدال (ܕ : د) الدال في السريانية تمثل في العربية حرفين هما الدال والذال ، وكلما كانت هذه الدال ذالاً في العربية انقلبت زيناً في العبرية فتكون دالاً في كلمات خاصة نحو ܕܫ داس ܕܪܫ درس . ܕܢ دان ܕܪ دار ܕܘܪ دار ܕܚܩ دحق (طرد) الخ وتكون ذالاً

---

(١) الزقاق حركة الفم الخفيفة تشبه الهاء الفرنسية .

في كلمات أخرى نحو ܕܪܳܐ ذر ܕܰܠ ذل ܕܢܰܒ ذنب ܕܽܘܢܒܳܐ ذنب ܕܰܗܒܳܐ ذهب ܕܺܐܒܳܐ ذئب والخ ٠

٥ — الهاء (ܗ : ه) حرف الهاء تتساوى فيه السريانية والعربية ، إلا ان السريانية قد تستغني عنه أحياناً فيحذف لمرونته وينقلب الى ألف وذلك في آخر الأسماء المؤنثة المجزومة وفي جزم التنكير نحو ܡܕܺܝܢܬܳܐ مدينة ܥܶܠܬܳܐ علة كما أسلفنا ٠

٦ — الواو (ܘ : و) تتساوى فيها العربية والسريانية ٠ وفي بعض الكلمات العربية التي تبدأ بها تمثلها الباء في السريانية نحو وسادة ܒܶܣܳܕܳܐ ٠

٧ — الزاي (ܙ : ز) تنقلب الزين السريانية الى الصاد في بعض الكلمات العربية المشتركة باللفظ نحو ܙܰܕܺܝܩܳܐ صديق ܙܥܽܘܪܳܐ صغير وقد تنقلب الى شين في العربية نحو ܙܢܰܩ شنق الا أن اللغتين تشتركان بمادة غزيرة تبدأ بهذا الحرف عينه ٠

٨ — الحاء (ܚ : ح) ترد في اللغتين مادة غزيرة تبدأ بالحاء إلا أن في العربية ألفاظاً تنقلب فيها الحاء السريانية الى خاء نحو ܚܰܠܳܐ خل ، ܚܰܡܪܳܐ خمر ܚܰܣܺܝܢܳܐ سخين ܚܳܒ خاب ܚܽܘܛܳܐ خيط ܚܰܝܳܛܳܐ خياط ܚܪܶܒ خرب ܚܪܽܘܒܳܐ خروب (خرنوب) ܚܪܰܙ خرز الخ ٠

٩ — الطاء (ܛ : ط) الطاء في السريانية تكون تارةً طاء في العربية ، وأحياناً تنقلب الى الظاء نحو ܛܶܠܳܠܳܐ ظل ܛܶܦܪܳܐ ظفر ܛܥܰܢ ظعن ܛܰܒܝܳܐ ظبي ܛܰܗܪܳܐ ظهر ܛܠܰܡ ظلم ٠

وقد تنقلب الطاء في السريانية الى تاء في العربية ܛܥܳܝܳܐ تاعس وبعكس ذلك تنقلب التاء العربية الى الطاء في السريانية نحو قتل ܩܛܰܠ ٠ وتنقلب الثاء العربية أيضاً الى الطاء في السريانية نحو ܩܰܛܽܘܬܳܐ قثاء ٠

http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٠ — الياء (ܝ : ي) ان الياء في السريانية تنقلب الى الواو في العربية وذلك في المثال العربي نحو ܝܠܕ ولد ܝܗܒ وهب ܝܕܕ ودد ܝܩܪ وقر ܝܬܪ وتر اخ ٠

١١ — الكاف (ܟ : ك) الكاف السريانية لا تأتي الا مقاربة لكاف العربية ٠

١٢ — اللام (ܠ : ل) قد تنقلب اللام السريانية الى النون في العربية نحو ܨܠܡܐ صنم ٠

١٣ — النون (ܢ : ن) النون في السريانية قد تنقلب الى ميم في العربية وذلك في الضمائر وأمثالها ، وهي كثيرة لا يسعنا ايرادها الآن ٠

١٤ — السين (ܣ : س) السين أو السمكث السريانية قد تنقلب الى شين في العربية وبالعكس وهذا متأت من عدم التمييز بين الحرفين في الأبجدية الآرامية القديمة ، فقد كانت علامة واحدة تمثيل الحرفين ، بل بالحري ان الحرفين كانا حرفاً واحداً كما سبق في بحث الابجدية النبطية ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٥ — العين (ܥ : ع) العين السريانية قد تمثل ثلاثة أحرف عربية وهي العين والغين والضاد فمن الأول ܫܥܬܐ ساعة ܥܝܢܐ عين ܥܡܠܐ عمل ܪܥܝܐ رعى ٠ ومن الثاني ܥܪܒ غرب ܥܘܪܒܐ غراب ܥܠܒ غلب ܥܝܡܐ غيم ܡܥܪܬܐ مغارة ܒܥܐ بغى ومن الثالث ܐܪܥܐ أرض ܒܥܬܐ بيضة ܥܢܐ ضان ܥܪܬܐ ضرة ܥܪܒ ضرب ܪܥܘܢܐ رضوان ٠

١٦ — الصاد (ܨ : ص) قد تنقلب الصاد السريانية الى الضاد العربية نحو ܥܨ عض ܥܪܨ عرض ܥܡܨ غمض ܚܡܨ حمض ܢܦܨ نفض ٠

١٧ — الراء (ܪ : ر) قد تقابل الراء السريانية نون في العربية ومن ذلك ܬܪܝܢ اثنين ܒܪܐ ابن ܒܪܬܐ بنت إلا أن الراء السريانية تنقلب الى نون أيضاً فيها عند الجمع فيقول في ܒܪܐ ابن ܒܢܝܐ بنون ܒܪܬܐ بنت ܒܢܬܐ بنات .

١٨ — الشين (ܫ : ش) قلما تقابل الشين السريانية بشين عربية بل تقابلها غالباً السين كما سبق الكلام في السين السريانية نفسها .

١٩ — التاء (ܬ : ت) تمثل التاء السريانية حرفين في العربية هما التاء والثاء، وهكذا تكون بعض الكلمات المتحركة في اللغتين تارة تاء عربية نحو ܬܢܘܪܐ تنور ܬܝܢܐ تين ܬܝܫܐ تيس وطوراً ثاء نحو ܬܕܝܐ ثدي ܬܘܪܐ ثور ܬܩܠ ثقل ܬܠܬ ثلاث .

هذا ما يمكن قوله في تطور الحروف وانقلابها في المادة المشتركة بين اللغتين العربية والسريانية الآرامية . ولو عاد المتبصر الى معاجم اللغتين لوجد بحراً خضماً من المادة المشتركة فيها واهتدى إلى أمثلة كثيرة على غرار ما ألمعنا اليه في بحثنا هذا .

(الموصل) غريغوريوس بولس بهنام

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

نسخة تاسعة

من ديوان ابن عُنين

أعارني الحكيم (الطبيب) السيد مظفر حسين بكراجي في ٩ شعبان سنة ١٣٧٨ ﻫ نسخته من ديوان ابن عنين . وكان طال مُقامُه بحيدرآباد الدكن . ومن غرامه وهواه في الأسفار والآثار اجتمع لديه منها مبلغ لا ينكر قدرُه . فباع منها جملة لخزانة ميربور وفيها نسخة جليلة من ديوان ابن الساعاتي . وقد بقيت عنده بقايا أكثر من نصفها فيها كل عِلْق مَضِنَّة يشدّ إليه الرحال . والظاهر أنه يبيعها لخزانة دار التُحَف بكراجي .

ولما سرّحت فيها نظري وعارضتها بطبعة الصديق الأستاذ الفاضل خليل مردم بك من ثمان نسخ وجدتُ فيهـا نحو ٣٤ ما بين مقاطيع وقصائد فاتت النسخ ، وبعض أخبار وروايات لا يخلو تقييدها من فائدة زائدة ، فصحّت عزيمتي على تعليقها ولَمّ شَعَثها وضبط شواردها وعرض فرائدها .

وهي بقطع وسط أميل الى الثمن في ١٠٨ أوراق . والمسطرة تتراوح بين ١٨ الى ١٥ سطراً في الغالب وربما تقلّ وتنزل . بعدّة خطوط لا تقل عن خمسة . مما يدلّ على أن بعض الزوّار أو الحجاج يكون زار الشام ، فأوفزته الرحلةُ عن استنساخ الديوان على وجهه ، فوزّعه على نحو ستة من كاتبين ، وما كانوا كراماً بَرَرة ، فخبطوا وحرّفوا . وكلها بالنسخ . وهي عربية المَنْصِب ليست من نتاج الهند أو السند وإنما تهنّدت منذ قديم . وهذا يدلّ على أن

الهند استأنست يزائرها فحافظت على وُدّه كما حفظت نسخة من شعره وإن كان لم ينصفها بعد مغادرته لها إذ قال :

وإذا سقى الله البلاد فلا سقى بلدَ الهنود سوى الصواعق والدما

وقد تعاورت النسخةَ أيدي عدّة من الأصحاب يدلُّ على ذلك خطوطهم التي لم أستطع قراءة بعضها لمحو أصابها . وعليها ختم (اورنگ زيب عالم گير) أو بعض أمراء عهده ، وثبت عليه خط إلَهي همداني وتمام اسمه مير عماد الدين محمود وهو من الّه آباد من نواحي همذان وهو عصري الشفائي المقدسي وصاحب التقي الأوحدي من شعراء الفرس الذين زاروا الهند ومات سنة ١٠٦٤ هـ

وقد لقيت عَرَق القِرْبة وجهداً جاهداً في إصلاحها وردّها الى أصلها . فقد وُقفتُ في بعض الأماكن كما قد أخفقتُ في بعضها الآخر . وبعض هذه الخطوط مشكول شكلاً أكثره مغلوط وما كان يضرّه لو فقد الشكل والإعجام بالمرّة . هذا إلى ما أحدثته الأرضة من ثقوب وخروق حالت دون قراءتها كما هي ، وإلى أن بعض الأوراق قُلبت فوُضعت في غير أماكنها من الأبواب التي هي منها . والنسخة كاملة على علاّتها ، غير أن المقطوعة التي رقمتُ رقم ٢٥ بطُرّتها قد خلت من عنوان ، وهي في أول الورقة ، وهذا مما يوهم بوقوع خَرْم وسقوط ورقة أو أكثر دون جزم وبَتّ .

ونسختنا على ترتيب الأبواب الخمسة التي سردها الأستاذ الناشر في ص ٢٤٨ من طبعته سواءً .

وقصيدتاه الأوليان في الديوان في مدح صلاح الدين (مخوّفٌ وأرسخُ) اللتان طُرّز بها بابُ المديح قد خلت عنها النسخ الثان ، وكأن بها ابن نبهان وجهَ الديوان من صنعه . ولكن سائر المقطوعات ملحقة بآخر الأبواب الزائدة .

هذا وقد أكلت العراض فأثبت بعض أخبار زادته نسختنا أو خالفت فيها بعض ما عند أخواتها ، هذا إلى أنها تخل ببعض ما أتين به وأثبتنه .

وأما طريقي التي سلكتها فاني اعتبرت بترتيب نسختنا الأول فالأول . وقد سهل علي فهرس القوافي الملحقة بآخر الطبعة البحث عما فيها ، إذ لم يكن لي عن ذلك مندوحة . نظراً الى أن مخطوطتنا تخلو عن فهرس يمكن من فحص باقي المطبوعة عما فيها . وهذا ظاهر . فعذري واضح فيما سلكته .

وها أناذا أنقل مقدمة النسخة بعد الحمد والصلاة :

(قال العبد الفقير الى رحمة الله تعالى أبو المحاسن محمد بن نصر الله بن عنين تجاوز الله عن زلله ، وألحقه بن تقدمه بجزيل رحمته وأصله من زرع قرية ببلد حوران وهو من بني غالب وولد بدمشق المحروسة يوم الاثنين تاسع شعبان سنة ٥٤٩ وتوفي يوم الاثنين أيضاً العشرين من ربيع الأول سنة ٦٣٠ بدمشق المحروسة . مما عني بجمعه . . . . . . محمد بن المسيب بن نبهان التغلبي [١] الدمشقي . . . . . . إحياء لذكره ولما لحه من بديع شعره الخ) . وظاهر أن تاريخ وفاته ألحقه ابن نبهان بعده . وهو الذي أراده ابن خلكان بقوله (وقد جمع له بعض أهل دمشق ديواناً صغيراً لا يبلغ عشر ما له من النظم) . وكان مغرماً به وبشعره يتردد إليه ويحضر مجالسه ويسأله عما أشكل عليه منه أو اعتاص ويستوضحه عنه ، ولما رآه ابن عنين حريصاً على ذلك أملى عليه بعض ما تبقى عنده من شعره في هذا الديوان الصغير .

كراتشي — عبد العزيز الميمني

(١) كذا جاء بالغين المعجمة ثلاث مرات او اكثر . ولست أرى إهمالها إلا تصحيفاً .

قال يمدح السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبا المظفر يوسف بن أيوب (١) رحمه الله وذلك في سنة خمس وسبعين وخمس مائة ، وأنشده إياها بالساحل :

ما للأماني عنـك منحرَفُ ولا لها عن ذَراك منصرَفُ
أنصفتَ أهلَ الزمان كلَّهم منه ولولا نَداك ما انتصفوا
إني بإنعامك الذي امتلأتْ به مُناي الغـداةَ معترفُ
لذاك شكري الذي غَرِبَتْ(١) به دَأبي فاضٍ منه ومؤتنَفُ
ضاقت [عن] المدح والثناء على بمض الذي قد أتيتَه الصُّحُفُ
يا طالـبي العارفات دونكمو ندَى مليك الزمانِ فاعترفوا
فما الخضَمّ الطامي غواربُه ولولا الغيوثُ المواطل الوُطُفُ
عليكمو منه بأبي مكرمة تُنفدَح أمواله وتُغترَفُ
ما دونها ذائدٌ ولا حَرَسٌ إلى حَراها الآمالُ تختلفُ

حراها : نواحيها

ما بين هذا الأنام كلّهم في أنه أكرمُ(٢) الورى خُلُفُ
يوسفُ مصرَ الّذي ممالكُه جنّةُ عدنٍ فيها لنا غُرَفُ
مشحونةٌ بالنعيم صافيةٌ ظلالُها بالخلود متَّصِفُ(٣)
أبقى على الدهر من حوادثه محوطةً لا ينالها الوَكَفُ

الوَكَف : العيب .

لها من الناصر المليك صلاح الـــدّين حامٍ سيوفُهُ رُعُفُ

وقال أيضاً يمدحه رحمه الله ويذكر فتوح مصر وخطبة بني العبّاس أدام الله (٢) أيّامهم بها :

(١) الأصل عربت به .
(٢) بعضه مأكول الأرضة .
(٣) كذا ولعل الأصل تتصف .

حلومك أرسى من شمام[١] وأرسخ   ومجدك أعلى من [جبا[٢]]ل وأشمخ
وذكرك ما بين الأنام كأنه   وقد ضاع بالمسك السحيق مضمخ
بقيت صلاح الدين فينا مخلدا   فإنك مهما دمت فالردع مفرخ
إذا ذكرت أنباء فضلك في الورى   لدى معشر أثنوا عليك وبخبخوا
حمى الملك من أبناء أيوب ماجد   همام شديد البأس أصيد أبلخ
فضائله تربي على الرمل كثرة   على أنها تروى وتتلى وتنسخ
عقود صلاح الدين فينا أكيدة   أبت أنها ما دامت الارض تفسخ
مهابته درع عليه حصينة   وبين حماه والحوادث برزخ
إذا الحرب حشتها الكماة كأنها   طهاة قدير في الشتاء وطبخ
غدا مطفئا نيرانها بعزائم   تفلق هامات الملوك وتشدخ
لمجد صلاح الدين يوسف همة   تطول دراري النجوم وترسخ
أقام بمصر دعوة الحق فانثنت   تدون في أيامه وتؤرخ
وكم أرؤس للأدعياء عداته   ترض بمرداة الهوان وترضخ
يجود بما تحوي يداه تبرعا   ويجزل ما يعطيه طورا ويرضخ[٣]
كما سحت الأنواء طلا ووابلا   وجادت بما يروى البلاد وينضخ[٤]
يلام على بذل المواهب والندى   ويلحى على إحسانه ويوبخ
فيعرض إعراض الكريم بسمته[٥]   ويثبت كالطود الأشم ويرسخ
فيا حسنها من سيرة عمرية   وملة عدل بندها ليس ينسخ
رعاها الإمام المستضيء وولده   وقام لها يزهى كريما ويشمخ

---

(١) كقطام جبل لباهلة .
(٢) مأكول .
(٣) يعطى عطاء دون الجزل . ويرضخ في البيت المتقدم يشدخ ويكسر .
(٤) يروى ومنه عينان نضاختان .
(٥) الأصل بسمه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال محمد بن نبهان التغلبي الدمشقي رحمه الله جامع الكتاب فأعطاه الملك الناصر صلاح الدين ألف دينار وأرسل له من بغداد ألفُ دينار .

ص ٣ س ٣ : وقال يمدح السلطان الملك العادل سيف الدين ابا بكر بن أيّوب رحمه الله وأنشده إيّاها بمدينة دمشق سنة ٥٨٥ هـ القصيدة والبيت العشرون ومرنّحين على الرحال كأنما البيت

ص ٩ س ١ زاد : وأنشده إيّاها بمدينة دمشق بالقلعة في شهور سنة ٦٢٦ هـ

ص ١٤ س ١٢ زاد : من قصيدة طويلة لم يوجد منها غير هذه الأبيات الثلاثة .

ص ١٨ س ٥ : لا يُقيِّبُها .

ص ٢٢ س ١ : يتقدّم البيت :

ألا أيّها المَلك المعظّم والذي مواهبه ترجى ويُخشى عقابه

س ٣ : من نشاوور ببلاد العجم إلى دمشق . وهي نيسابور .

س ٩ يتلوه :

ذو مُقلة دعجاء أدمى لحظُها قلبي وأنفذ سهمُها أدراعي

ص ٢٣ بعد س ١ : قال جامع الكتاب محمد بن نبهان التغلبي الدمشقي رحمه الله سألتُ الشيخ شرف الدين رحمه الله يوما بحضرة الشيخ نجيب [1] الدين أبي الفتح نصر الله بن الصفّار المعروف بابن الشُّقَيْشقة عن معنى هذا البيت وقد استغربتُهُ لأن عادة الخمر أن تبدّل الوقار بالطيش فقلت له أهذا المعنى لك مبتكَر ام سمعتَه ؟ فقال لا أعلم أنه لآخر غيري فابتدر الشيخ الامام نجيب الدين وقال بل هو لغيره وأنشد في المعنى لابن وكيع :

(١) المتوفى سنة ٦٥٧ هـ كان "بزّ" برقبة الدين يراعي أرباب الجاهات كثيراً ترجمته في ذيل الروضتين ٢٠١ وغيره .

كيف [لي] أن أراك منعجمَ المنـــــطق سكران لستَ توضح حرفا
وأنادي من المسرّة ماتَ الـــــسُكرُ فادعوا الى بالكأس صِرفا
إنّ للراح مِنّةً لستُ أدرى شكرَها كلما أطلتُ الوصفا
لينت خلق قسْوَر وأعارتـــــه سماحاً وعلّمته العطفا
كلما رمتُ قُبلةً قالت النشـــــوة مات الفلا فخذ لك ألفا

فتعجّب الحاضرون من حسن استحضاره وعظم اقتداره .

ص ٢٣ س ٢ :

في روضة بالنَّيْرَبَيْن أريضةٍ مَوْشيّةٍ ببدائع الإبداع
مختلفة (كذا) وشائعَ بُرْدها كفُّ الخضيب وأيَّ كفٍّ صَنَاع

ص ٢٦ س ٣ : جاورتُ (بالراء المهملة) ، هذا عمران بن حطّان لما خرج على عبد الملك بن مروان وطلبه فهرب منه فلم يجد له ملجأ في الأرض إلا رَوْح بن زنباع فقصده فلما وصل اليه وهو مطمئن القلب به لم يُجِرْه وطرَدَه اه الميمني والخبر مبرده أبو العباس على طوله ببعض اختلاف في الكامل ٥٣٠ — ٥٣٤ .

س ٥ : أوقح كي أسدّدَ .

س ٨ زاد : وتسجها على منوال الأفوه والأودي في قصيدته المحرّضة اه ولعلها داليته في الديوان صنع العاجز برقم (ز) ص ٩ .

ص ٢٨ س ٣، ٤ دالجة : والدالج الذي يمشي بالدلو من البئر الى الحوض . والسَّفْر القوم المسافرون .

ص ٢٩ س ٦ : أهوّم أو في بطن دَوّيّة أسري

٧ : عن سنا البدر . هذا البيت بقرطس في غرض البلاغة بإصابته وتأنس به الأسماع على غرابته وتعنو لديه الأوصاف والمدائح وتخجل عند سماعه لقصورها طلابات (كذا) القرائح .

ص ٢٩ س ٢ : ولو حاول المرّيخ البيت يتلوه بيتان وعليهما الختام ـ وسائر الأبيات التي تتلوه هنا تتقدّمه عندنا ـ وهما :

من القوم لو جاراهم البحر في النّدَى لأصبح قاعاً صفصفاً مُنْبِدُ البحر

إذا استلأموا يوم[1] النزال حسبتَهم أسودَ العرين الغُلْبَ تَسْبَحُ في غدْر

لقد أصاب شاكلة التشبيه وأصبح فرداً في معناه بلا شبيه اهـ .

س ٩ : عندنا سنة ثمان عشرة .

ص ٣١ س ٨ : سَناها وللأدنى . وأراه الصواب .

١٠ : وأفرجت . ولا أرى عليه غبارا .

ص ٣٢ س ٥ : ومعها ارتجاسُ .

ص ٣٢ س ٨ : أرضاً تُداسُ .

س ١٠ : يبيت الذئب طاوٍ يَزبر وجارُ رَبْربه الكِناسُ .

ص ٧١ س ٤ : بأصلنا الحَوْول من أسماء الدواهي اهـ فهو بالفتح .

ص ٣٤ س ٤ زاد : وأنشده إياها بمدينة عدن في سنة ٥٨٩ هـ .

س ٧ : وإن بعيدا لا يُرَجَّى اقترابُه .

ص ٣٥ س ٨ : لا بناصبُ .

ص ٣٦ س ٢ : على الرمل في إثر المطيّ .

ص ٣٧ س ٦ : من خلوة الفحل .

ص ٧٢ س ٥ : سنة ٥٨٩ هـ .

س ٨ : حنينَ العطاش .

ص ٧٣ س ٨ : قوله منها يوهم أن هنا شيئاً من القصيدة لم يورد ههنا . ولكنها تظهر تامة في نسختنا .

(١) البيت محرّف في أصلنا .

ص ٧٤ س ١ : صِهْلَه ، ولا يظن سهل ٠

س ٣ : الباب الغياثي ٠

ص ٣٩ س ٨ : قوله ومنها كأنه حذف البيت الآتي من أجل خلل أو تصحيف وهو :

وكأنه في الحرب خِرصان به ذي العز (؟) الملك العزيز قد احتبى

ص ٤٠ س ٣ : وقال يمدحه وأنشده اياها بمدينة عدن في سنة ٥٩١ ﻫ بظاهر البلد ٠

ص ٤٢ س ١ : النَقْل بلا تحريف ٠

س ٥ : لأفصح معجم غزِل ٠

ص ١٠٢ س ١ : عندنا : ولما ملك الملك الناصر صلاح الدين بعض البلاد الساحلية أرسل الى أخيه السلطان الملك العزيز ظهير الدين صاحب اليمن يعرض عليه النزول عن اليمن والحاق به ليستلم الساحل الفرنجي ويحضر الغزاة ٠ فشاور الشيخ شرف الدين بن عنين وكان حاضراً عنده في ذلك ٠ وكان شرف الدين قد سُرق له بمكة قماش اتهم به بعضَ الأشراف الذين بها ممن كان حوله ٠ فأنشد سيفَ الإسلام هذه الأبيات يحرّضه على قتال أهل مكة ويَثني عزمتَه عن الساحل وأوّلها :

ثمّ بعد تمامها : قال جامع الكتاب سألتُ الشيخَ العلاّمة نجيب الدين بن الشُقَيْشقة عن هذه القصيدة فقال لم يوجد منها غير هذه الأبيات ولذهابها سبب ٠ فسألته عن السبب فقال حدّثني الشيخ شرف الدين أبو المحاسن محمد بن عنين بداره في ليلة من ليالي الشتاء في ثالث ربيع الأوّل من سنة ٦١٣ أنه لمّا كان باليمن وعمل هذه القصيدة غلظ قلب الملك العزيز على أهل مكة ووصل الى أشرافها شيء من مكروهه ٠ قال فمرضت مرضاً شديداً بلغت فيه الموت

أو كنت فرأيت في إحد[ى] ليالي مرضي كأن مولاتي الستّ فاطمة صلى الله عليها وسلم وهي واقفة بازائي تشير باصبعها الكريمة إليّ وتقول :

حاشا بني فاطمة كلّهم   من خِسّة تَعرِض أو من خَنا
وإنما الأيام في صَرْفها   وفعلها السوء أساءت بنا
لأنْ أسا من ولدي واحد   تلحقَ هذا الشتمَ عمداً بنا
فتُب الى الله فمن يقترفْ   ذنباً بنا يأمن مّما جنَى
وأكرمْ[1] لأجل المصطفى أحمد   وآله من أهله أعيُنا
فكلّما نالك منهم أذًى[2]   تلقَ به في الحشر معنا[3] هنا

قال فاستيقظت شديدَ الرعب وقد شممتُ رائحة العافية فوثبت الى القصيد فمزّقتُها وعملتُ :

عُذراً ! الى بيت نبيّ الهدى   تَقبَّلُه من عبد سوء جنى
وتوبةً تَقبَلُها من أخي   جرم بعيدِ الخير مُرّ الجنى
والله لو قطّعني واحدٌ   منكم بسيف البغي أو بالقنا
لم أكُ في ظنّي مُسيئاً به   بل أرَه في الفعل بي مُحسِنا

وكان لا يؤثر أن يحفظ أحد من هذه الأبيات شيئاً حتى إن الملك الأشرف كان[4] اذا أراد أن يغيظه ذكر بيتاً منها .

ص ٥٥ س ٧ : فتُريني أنه حَذِرا .

س ١٠ : اذا استسقيتُ وابلَه ، على الظماء (كذا) سقاني .

---

(١) بالتسهيل ضرورة .
(٢) الأصل مزا .
(٣) الأصل معنا .
(٤) الأصل وكان اذا أراد مغيضة .

ص ٥٧ س ١٠ : فظلّت تباري الشمسَ .

س ١١ : أزال على الصواب .

ص ٥٨ س ٤ : به مَثَل . وهو الأليط .

س ٥ : ما أحلى قوله الا أن ظفرت يرا . يريد لم أحصل على سوى القافية فانها كقافيته «إنما الشعر لم ألحق فيه من شأوه شيئا اه: اليمني : فاتضح أنه يرا أي بحرف الراء وهو رويّ القافية لا غير .

س ٨ : يتلو البيت الأخير : وهذا آخر مدائحه للملوك اه ثم يتلوه مديح الوزير ابن شكر وهو في ص ٤٥ .

ص ٤٥ س ١ أصلنا : وقال يمدح الوزير صفيّ الدين أبا الحسن علي ابن عبد الله (وفي الفوات ١ / ٢٨٠ ومرآة الزمان عبد الله بن علي) بن شكر وزير الملك العادل سيف الدين أبي [بكر] بن أيوب وأنشده إياها بدمشق سنة ٥٩٣ ويذكر فيها حصار الأفضل والملك الظاهر العادل (؟ للعادل) ورجوعهما عنه بحسن تدبير الوزير الممدوح .

ص ٤٩ س ١٣ : ولو مات وجدا .

ص ٥٠ س ١٠ : ألقى .

س ١٢ : فلو عالجتُ حدّا (؟ جُدًا) .

ص ٥١ س ١٣ : يأتي بالأمس ينذهب ردًا .

ص ٥٢ س ٣ : وهو فاعلٌ .

ص ٥٣ س ١ : ألى جنابك ردًا .

س ٢ : والثناء أكرمُ مُهدَى .

ص ٩٤ س ١٢ بأصلنا زيادة : وذلك بمدينة مَرْو في مدرسته التي يُلقي بها الدروس .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ص ٩٥ س ٧ : يمشي بقلب .

ص ٥٣ س ٦ : أصلنا فكتب اليه من نيسابور وسيَّرها اليه الى نشادور [١] وذلك في سنة ٦٠٢ .

ص ٥٤ س ٨ : رياح الطيش .

ص ٩٨ س ٩ : محلّة الجناح .

ص ٩٩ س ٣ : وحلّة المُزاح .

ص ٧٤ س ٧ : من نشادور .

ص ٧٦ س ٢ : جواسق كالدراري .

س ١٠ : لغيامي وعزمه .

ص ٧٧ س ٢ : بين الذئاب .

س ٥ زاد : وسيَّرها اليه أيضاً من بلاد [٢] العجم إلى دمشق .

ص ٧٨ س ٦ : يتلوه بيتان وعليها الختام :

عسى عطفة بدريّـة تعكس النوى فألقى قريرَ العين بالأهل والوطن
فقد ملّت النفسُ البِعادَ وبرّحت بها سمةُ الشكوى وضاق بها المَطَن

ص ٧٩ س ١ : عندنا : وقال يمدح النجيب بن يُمن المُرضيّ وكان اجتمعا كلاهما وعاد النجيب الى الشام فكتب بها اليه :

ص ١٠٤ س ١٣ : باتَ عنه غنيّ .

ص ١٠٥ س ١ : سجيّـةُ ألفت .

ص ٥٩ س ٨ : في صفيح الحُدا .

ص ٦٠ س ٩ : غُمّر .

---

(١) كذا وهي نيسابور نفسها عاميّة .
(٢) وفي الأبيات من عدن .

ARCHIVE
http://archive.sakhrit.com

ص ٦١ س ٤ : فيها وأصبحت الموالي .

١١ : يريد بالأخشاب المجانيق اه .

ص ٦٢ س ٥ : بعده بيت وعليه الختام :

فالمُلك عينٌ خاطبتْه كأنْ[1] بها رَمَداً فكان لما عراها إثمدا

س ١٣ : وجنَّوا المعالي . هذا غلط صرفي من ابن عُنين .

ص ٦٣ س ٥ : التجنيس . والفهم من خطأ الطباعة .

ص ٦٤ س ٤ : با لإرعاد .

س ٨ : زاد : وكانت بينهما صداقة ومودَّة أكيدة وكان دُفن بدمشق ثم نقلوه الى قلعة جعْبَر .

س ١٢ : عن طريق رَشادها .

ص ٦٥ س ٤ : رُزِيَ الكرام الخ كما في صلب المطبوع .

ص ٦٧ س ٧ : بعده وعليه الختام :

لا غَبَّ فبرك مُرْجَجِنٌّ زاخرٌ زَجِلُ النواحي مُسْبِلٌ هَدّار

ص ١٤٠ س ١١ : يَنْهَدُ لو حَمَّلتَهُ بعضَها ـ الجبَلُ . أي ينهدُّ الجَبَل (ضدّ السهل) لو حمَّلته (بالشدّ) الداهيةُ بعضَها . وهذا ظاهر .

ص ١٤١ س ٣ : منتعل في شعر الأعشى رقم ٦ وتمام البيت :

هِرْكَوْلة فُنُق دُرم مرافقُها كأنّ أخمصَها بالشوك منتعلُ

والتضمينان غير موجودين في نسختنا .

س ٥ : منتفـخ وكذا نسختنا والصواب : منتفـج بالجيم لا غير .

س ٦ : في بيضة القَيْظ وأراه الأقعد وفي زائية الشمّاخ :

طوى ظِمأَها في بيضة القيظ بعدما جَرَى في عِنان الشِعْرَيَيْن الأماعزُ

---

(١) أو بأنّ .

ص ١٤٢ بعد س ١ : يريد بنظام الدين ابن القلانسيّ . فالحظْ أيها المتأمل ما ألطف هذا الاستطراد وما أحلى موقعه من الفؤاد حتى لو سمعه الذي قيل فيــه لشغله استفادة هذا المَخْرَج عن أن يَرْفُل في ثياب المحرج اه المجني لا أعرف المحرج الاّ الحِرْج وهي ثياب تُبسَط على حبل للجف . فلعل المحرج عامية .

ص ٩١ س ٢ : فيما وقع له من الوقائع والماجَرَيات والمكاتبات والمحاورات والطَّلبات والشفاعات والأغراض والمجُون والهدايا والاستهداآت والطُرَف والنُّتَف والألطف والحنين والأشواق الى بلده وغير ذلك مما يجري مجراه اه .

(٣) ص ٩٣ س ١٠ : يتلو (مسلّما) :

رأى صبيًّا مليحًا تركيًّا قد رأى غرابًا على شجرة فرماه بسهم .

من أُخزر العيون رأى غرابًا فأوتر قوسَه ورمى بسهم
فخالَ البدر أرسل عن هلال الى الليل البهيم شهابَ رَجْم

ص ١٠١ س ٨ : عندنا وكتب الى الملك العزيز سيف الإسلام باليمن يطلب منه خمراً على طريق اللُّغز .

ص ٤٤ س ٥ : ماقَطْبا لي . . . . . . أَدْ[ر]يْ عَداكَ القَدَمْ

ص ٧٣ س ٣ : عندنا أربعة أبيات من هذه القصيدة وهي في الأسطر ٣ و ٤ و ٦ و ٧

ص ٨٠ س ٩ : يلوح وآذيُّ الدُجنَـة .

ص ٨١ س ١١ : من أن تُنالَ وتَلْتَثما .

ص ٨٣ س ٤ : على وكز بالزاي المعجمة لا بالمهملة .

س ١٤ : راحلا ـ وأحداثه بي .

ص ٨٦ س ١١ : بعد (عن ذكر الشنا) زيادة :

أصبحتُ بعد فراقكم متجنّبِ ال بلوى فصير[1] (كذا) في الخطوب مشتّتا

ص ٨٧ س ٥ : بين النعائم والفقْر ، وبالنّسْر يحصل الإبطاء .

س ٨ يتلوه : يريد بذلك أن نوء سعد السعود صَحْبُه باقي الأنواء المُمْطِرة إذا لازمها يكثر الغيث ويصير مكان الضبّ وهو البراري المقفرة كمكان الحوت وهو البحر وربما زاد ماء البحار والأنهار وطفا السمك الى أن يتلاقى به والضبّ في وكره وهذا بليغ حسن .

ص ١١١ س ١ : عَبَثَ السّقامُ .

ص ١١٦ س ٤ : بداه كما قيل فإنما .

ص ١٤٣ س ٨ : قيد ضيق .

ص ١٢٢ س ٥ : شمرك الأنجم .

ص ١١١ س ٨ : عند ذاك .

س ١٠ : والبيتان اللذان أنشدهما ابن المجاور :

بالكؤوس الملاء حفّا إليّا لا تجوبا (كذا) بالمُدام لأعليا
من يَدَيْ فاتر اللواحظ كالبد ر اذا حَفّه نجوم الثريا

ص ١٣٠ س ٢ : لقد حصّت قوادمها .

ص ١٢٣ س ٩ : عندنا في الترجمة : وكان لما كتب هذين البيتين (جناحي ص ١٢٠) مريضاً طلب أن يزوره وكتب اليه مع هدية اهـ .

ص ١١٢ س ٢ : لوْمك عذرا .

ص ١٣١ بعد س ٨ : فلما وقف عليها السلطان أمره أن يستدعي ما يحتاج ضيوفه اليه في كل يوم من سائر الحوائج .

ص ١٢٣ س ٣ : لو كان ما يُهْدَى على مقداركم ، لم يرتض الشمس .

(١) لعله يصير في الخطوب تشتتا ، على الإبطاء .

ص ٩٠ س ٦ : في أعالي البان .

ص ٨٩ س ٤ : ومَرْجَمْتُها :

س ٥ : ضاع يضوع فاح .

ص ٩٠ س ٣ : وقد : أو غلتْ .

ص ١١٢ س ١١ : فكم أشهب .

ص ١٠٠ س ٧ : بإجراري ، والإجرار شقّ لسان الفصيل والقلم أيضاً يُشقّ لسانه . ثم يتلو الأبياتَ وقال مخاطباً للسلطان الملك المعظّم وقد جرى يوماً حديث قسمة الغنائم شرعاً وكيف تزحزحت الرسوم الشرعية :

(٤) يا أيُّها المالك المولى الكريم ومن يستحق المُلك والدنيا اذا يَهَبُ
إذا لقيتَ الأعادي يوم معركة فإنّ جمعهم المغرور منتَهَبُ
لك النفوس وللطير اللحوم وللـــوحش العظامُ وللخيّالة السَّلَبُ

فضحك الملك المعظم وقال هذه قسمة على بيت المال فيها حيف .

وكان عند الملك الناصر الخ ما في ص ١٢١ س ٤ ويتلو بيتيها :

فقال الملك المعظم الناصر سمعاً وطاعة ، ثم أمر بنتف لحيته فاستغاث الشاعر وأقسم أنه ليس من القصيدة . ومرّ ذلك اليوم في نوادر الشاعرين .

(٥) وكان مع الملك المعظم في بُحيرة طَبرية فركبا في الزيزب[١] فقال بديها :

وإني لأعجب من زيزب به بحر (؟) كيف لا يغرق
فمن تحتــه بحر (؟) واحد ومن فوقه أبحُــر تدفق
وأعجب من ذا وذا أنه يلامسه وهــو لا يرزق (كذا)

(يتبع)

(١) هذه الأبيات معروفة للخلوقي الشاعر في طاهر بن الحسين والرواية
عجبت لحرّاقة ابن الحسيـــن كيف تعوم ولا تغرق
وبحران من فوقها واحد وآخر من تحتها مُطبَق
وأعجب من ذاك عيدانُها وقد مسّها كيف لا تورق
والزيزب نوع من السفن .

الزجاجي

حياته وآثاره

ومذهبه النحوي من خلال كتابه « الإيضاح »

- ٣ -

١٣ — كتاب معاني الحروف :

عدّ بروكلمن بين مصنّفات الزجاجي كتاباً باسم « حروف المعاني » . وأما « معاني الحروف » فلم يذكره أحد غير ابن خير الاشبيلي [١] . إلا أن القفطي قال في الإنباه إن « لأبي علي الفارسي كتاب « الأغفال » فيما أغفله الزجاجي في المعاني [٢] » ! وكلام القفطي هذا ، يمهّد السبيل لوهم القارئ ، إذ يدلّ على أن « أغفال » الفارسي يتصل بمعاني الحروف للزجاجي . والحق ان في كلام القفطي نقصاً وسهواً ؛ أما النقص فلأنه كان ينبغي له أن يشير الى أن « الأغفال » انما هو في معاني القرآن . وأما السهو فلأن « الأغفال » هو تعقيب واستدراك على كتاب « معاني القرآن وإعرابه » لأبي اسحاق الزجاج ، لا على معاني الحروف لأبي القاسم الزجاجي ، ولم يشر محقق الإنباه الى ذلك [٣] .

---

(١) فهرست ابن خير : ٣١٩ .

(٢) إنباه الرواة ١ : ٢٧٤ .

(٣) أقول زيادة في الايضاح : للأغفال نسختان ، احداهما في مكتبة الأوقاف بطرابلس الغرب رقمها (خزانة ١ رف ٤ رقم ٩٤) وهي مكتوبة سنة ٦٧١ . والنسخة الثانية في دار الكتب بالقاهرة تحت الرقم (٥٢ تفسير) وتلك عن هذه النسخة نسخة أخرى في دار الكتب أيضاً .
وقد ذكر ابن خير كتاب الأغفال بنسبته الصحيحة في فهرسته (ص ٣١٠) كما ذكر كتاب « معاني القرآن واعرابه » للزجاج في ص ٦٤ .

١٤ — شرح رسالة كتاب سيبويه :

لم يذكر هذا الكتاب أحد ممن ترجموا للزجاجي ولم يشر الباحثون إليه على كثرة عنايتهم بكتاب سيبويه وما يتصل به . والذي ذكر هذا الكتاب هو صاحبه نفسه ، فقد أشار إليه أكثر من مرة فقال في كتابه « ايضاح علل النحو » : وفي ذلك احتجاج ونظر لم نقصد إليه في هذا الكتاب ، لأنا قد شرحناه في كتاب شرح الرسالة بجميع ما فيه . » وقال في موضع آخر « فأما القول فيما قاله سيبويه في كتابه « هذا باب علم ما الكلم من العربية » وما في ذلك من الألفاظ والوجوه ، فقد ذكرته في كتاب أوردته لتفسير رسالة كتاب سيبويه ... » وقال أيضاً « وقد أشبعت المعنى في تفسير كلام سيبويه هذا ، في تفسير رسالته . »

وما ما أراده الزجاجي من هذا الكتاب ، فهو – فيما أعتقد – شرح الصفحات الأولى من كتاب سيبويه ، تلك التي بحث سيبويه فيها أموراً عامة قبل الدخول في أبواب النحو الجزئية التي تبدأ في الصفحة الثالثة عشرة من الكتاب بباب الفاعل . ويؤيد ذلك :

أ – أنه من عادة الزجاجي أن يستعمل لفظ « رسالة » بمعنى مقدمة الكتاب أو خطبته ، وقد رأيناه يستعملها غير مرة في حديثه عن مقدمة أدب الكاتب لابن قتيبة .

— وبمناسبة الخلط بين الزجاج والزجاجي ، يجدر بي أن أنبه على أن الكثير من فهارس المكتبات العامة ذكرت « كتاب فعلت وأفعلت » منسوباً للزجاجي ، حتى اخذ بذلك بعض المحققين . فعدّه الأستاذ محمد بن ابي شنب ناشر الجمل بين آثار الزجاجي ، زاعماً انه ينقل عن كشف الظنون . والحق ان هذا الكتاب من وضع ابي اسحاق الزجاج ، استاذ ابي القاسم الزجاجي ، كما في كشف الظنون نفسه (٢ : ١٤٤٧) وكما في فهرست ابن خير (٣٥٢) وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٣٢٥ ﻫ (١٩٠٦) ضمن مجموعة باسم « الطرف الأدبية » .

٢ً — من المعروف أن كتاب سيبويه لا مقدمة له ، إلا أن في الصفحات الثلاث عشرة الأولى منه ما يصلح أن يكون مقدّمة للكتاب ، لأنه يبحث في أمور عامة يدخل أكثرها في مقدّمات كتب النحو . وأما أبواب النحو بتفصيلها وتفريعها فتبدأ في الصفحة الثالثة عشرة من الكتاب ، حيث يبدأ الكلام على باب الفاعل .

٣ً — قول الزجاجي انه شرح في هذا الكتاب قول سيبويه « هذا باب علم ما الكلم من العربية » يدلّ على أن هذا الباب من « الكتاب » داخل في « رسالة كتاب سيبويه » وهذا يتفق مع ما أشرت إليه في الفقرة السابقة من اعتبار الصفحات الثلاث عشرة الأولى هي مقدمة الكتاب .

١٥ — كتاب غرائب مجالس النحويين الزائدة على تصنيف المصنّفين :

لم يشر الى هذا الكتاب غير اثنين ممن ترجموا للزجاجي هما السيوطي وبروكلمان . أما السيوطي فقد أشار إليه شاكًّا في نسبته حين نقل عنه بعض مجالسه . وأما بروكلمان فقد عدّه في جملة آثار الزجاجي .

قال السيوطي في الأشباه والنظائر : « مجلس الخليل مع سيبويه ، ذكره أبو حيّان في تذكرته [١] وأظنه أخذه من كتاب غرائب مجالس النحويين الآتي ذكره » [٢] وقال فيما بعد « مجلس أبي إسحاق الزجاج مع جماعة ، ذكره أبو حيان في تذكرته وهو في كتاب المجالس المشار إليه وأظنه تأليف تلميذه أبي القاسم الزجاجي [٣] » وأثبت ظنه ثانية فقال « مجلس ذكر صاحب الكتاب

---

(١) التذكرة في العربية لأثير الدين محمد بن يوسف ابي حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥ . وذكر في كشف الظنون ١ : ٣٩٣ .

(٢) الأشباه والنظائر ٣ : ١٦ .

(٣) المصدر السابق ٣ : ١٧ .

المسمى غرائب مجالس النحويين الزائدة على تصنيف المصنفين » ولم أقف على اسم مؤلفه وأظنه لأبي القاسم الزجاجي » [١] . وقد نقل عنـه ذلك صاحب خزانة الأدب [٢] ومع أن السيوطي لم يتر لنا السبيل ولم يذكر ما دفعه إلى هذا الظنّ إلا أننا نستطيع اذا رحنا نتلمس له الدليل ان نجد بعض ما يؤيده ويوشك ان يرجّح ظنه .

إذا عدنا الى ما نقله السيوطي من أخبار هذه المجالس وجدنا :

١ — ان أسلوب الرواية في هذه المجالس هو نفسه أسلوب أبي القاسم في أماليه فكلاهما أسلوب يعنى صاحبه فيه بالسند عناية كاملة ، رأينا ذلك حين تحدثنا عن الأمالي ونراه هنا في أخبار المجالس الوارد ذكرها في الأشباه والنظائر (٣ : ٣٥ و ٣٦ و ٣٧) .

٢ — ان الذين يروي عنهم صاحب كتاب المجالس هم أنفسهم أساتذة الزجاجي وزملاؤه الذين روى عنهم في كتبه ، فمنهم اليزيدي (أشباه ٣ : ٣٣) والزجّاج (٣ : ٣٤) وأبو جعفر الطبري (٣ : ٣٥ و ٣٩) والأخفش (٣ : ٣٧ و ٣٩ و ٤٠) وابن الخياط وابن شقير (٣ : ٤٦) وهؤلاء جميعاً ممن اجتمـع الزجاجيّ بهم وصرّح في « الإيضاح » بالأخذ عنهم .

٣ — ان عنوان الكتاب الذي هو « غرائب مجالس النحويين الزائدة على تصنيف المصنّفين » فيه رغبة ظاهرة في الحرص على ذكر الغرائب التي لم يذكرها المصنفون من قبل ، وهذا يتفق مع ما عرفناه من رغبة الزجاجي وحرصه على أن يذكر في مصنفاته ما لم يذكره غيره ، وأن يضمن تآليفه ما لا يوجد في غيرها ، قال عن كتابه « الايضاح في علل النحو » : « وان أكثر ما أودعته

(١) المصدر السابق ٣ : ٢٩ .

(٢) الخزانة ٣ : ٣٥٣ .

إياه لا يكاد يراه متفرّقاً ولا مجموعاً في غير هذا الكتاب . » وقال عن المسائل التي أودعها كتابه : « منها ما تلقيناه من مشائخنا رضي الله عنهم تلقياً ومشافهة مما لم يودعوه كتبهم ولا يوجد فيها البتة . »

وبعد ذلك فأنا لا أدعي أنني أرضيت العلم أو وصلت بالظن الى اليقين ، إذ ينبغي للجزم في معرفة صاحب كتاب المجالس أن نعود الى النسخ المخطوطة من كتب المجالس ونقارن بين مجالسها وننظر في تاريخ أصحابها . . . وليس هذا التمهيد الذي أقدّم فيه آثار الزجاجي هو موضع هذا التحقيق العلمي الدقيق .

١٦ — الإذكار بالمسائل الفقهية :

ومما يجب ذكره بين آثار الزجاجي تلك المسائل المتفرّقة التي نقلت عنه في كتب المتأخرين وكان منها ما يتصل بالفقه ومنها ماله صلة بغير الفقه . فما كان منها فقهياً فقد جمعه وأطلق عليه اسم « الإذكار بالمسائل الفقهية » ونقل السيوطي هذه المسائل في الأشباه والنظائر ونحن نذكر مقدّمتها لوضوح دلالتها عليها : « قال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النحوي رحمه الله تعالى : أما بعد حفظك الله وأبقاك ، وهدانا وإياك ، ووفقنا فيما نحاول ديناً ودنيا للرشاد ، ورزقنا علماً نقرن به عملاً يقرّب منه ويزلف لديه ، إنه سميع بصير وعلى ما يشاء قدير . فإنك أذكرتني بالمسألة التي سألتني عنها في البيت الذي سئل الكسائي عنه وهو قوله :

فأنتِ طلاقٌ والطلاق عزيمة ثلاثاً ومن يخرُق أعقّ وأظلم[1]

وتفسيري وجه الطلاق بالنصب في ثلاث مسائل فقهية من العربية يتلاقى بها النحويون ويسأل عنها متأدبو الفقهاء ، وكنت جمعتها قديماً ، منها مسائل ذكر لي

(١) عد الى ما قيل حول هذا البيت في الأشباه والنظائر ٤ : ٢٤٠ .

أبو بكر محمد بن منصور المعروف بابن الخياط النحوي أنه اجتمع هو وأبو الحسن ابن كيسان مع أبي العباس ثعلب على تلخيصها وتقريرها ، ومنها مسائل ذكر لي أن أبا العباس ثعلباً أفاده اياها . ومنها مسائل منثورة جمعت بعضها عن شيوخي شفاهاً ، وبعضها مستنبط من كتبهم ، فأحببت أن أجمعها في هذا الكتاب وأسميه « كتاب الإذكار بالمسائل الفقهية » فاعتمدت ذلك حين نشطتني له ، فجمعتها فيه كلها وما اتصل بها وجانسها ومسألة الكسائي التي جرى ذكرها ، وجعلته نهاية في الاختصار ، وموجزاً غاية الإيجاز ، لئلا يطول فيمل ، ويكثر فيضجر ، وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل »[1] .

ثم أورد بعد ذلك أربع عشرة مسألة كلها في الطلاق .

١٧ — مسائل متفرقة :

ومما تركه الزجاجي مسائل متفرقة جمعها في كتاب بعث به إلى أبي بكر الشيباني ، وكان هذا قد سأله عن بعضها ، فدفعه السؤال إلى الجمع والتأليف . جاء في الأشباه والنظائر : « هذه إحدى عشرة مسألة سأل عنها أبو بكر الشيباني أبا القاسم الزجاجي في كتاب أنفذه إليه من طبرية الى دمشق فكتب إليه في الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم . حفظك الله وأبقاك ، وأتمّ نعمته عليك وأدامها لك . وقفت يا أخي — جعلني الله فداك — على مضمّن كتابك الوارد مع أخينا حفظه الله ، والجواب عنه يصدر إليك ولا يتأخر بحول الله ومشيئته . ووقفت على ما ضمنته آخرة من المسائل التي اشتبهت عليك ، وبادرت إليك بتفسيرها في هذا الكتاب ، لعلي بتعلق قلبك بها ، وليعجل أخونا حفظه الله الانتفاع بها .

(١) الاشباه والنظائر ٤ : ٢٣٣٤ .

وأتبعتها مسائل من عندي منتخبة من ضروب شتى أنت تقف عليها وتذكرني بها ، ومها عرض لك من أمثال هذا فلا تنقبض في مفاتحتي به فإني أسر بذلك ، وأفضي إليك فيه ما عندي على مبلغ ما يتناهى إليه علمي إن شاء الله تعالى . »[1]

ثم يورد المسائل الإحدى عشرة ونحن نكتفي بإيراد المسألة الأولى منها . قال : « أما قولهم هذا زيد السعدي سعد بكر ، وقولك كيف يعرب سعد وما الاختيار فيه . فإن هذه المسألة يختار فيها الكوفيون الخفض فيقولون زيد السعدي سعدِ بكر ، قالوا لأن معنى قولنا زيد السعدي : زيد من سعد ، ثم نقول سعدِ بكر على الترجمة (يعني البدل) ، لأنا نريد بهذا الكلام الاضافة ، وليس يمنعون من إجازة نصبه .

فأما أصحابنا البصريون فلا يجيزون خفض هذا البتة ، لأن قولنا زيد السعدي سعد مرفوع وليس بمرفوع وإنما الياء المثقلة في آخره دلت على النسب إليه ، ولا يكون المضاف إليه أولاً والدالّ على الإضافة آخراً . ولعمري ان النسب إضافة ، لأنا إذا قلنا رجل بكريّ وتميميّ ، فإنما نضيف إليه ، ولكنه ليس على طريقة المضاف والمضاف إليه . وليس هاهنا لفظ خافض ولا مخفوض ، وقد سمى سيبويه النسب إضافة على الوجه الذي ذكرته لك ، فيقول أصحابنا : أزيد السعديّ سعدَ بكر بالنصب على أعني سعد بكر ، ولا يمنعون من الرفع على معنى هو سعد بكر .

وليست هذه المسألة مسطرة لأصحابنا في شيء من كتبهم البتة ، وهي مسطّرة في كتب الكوفيين ، ولكني سألت عنها أبا بكر بن الخياط وابن شقير فأجاباني بما ذكرته لك ...

---

(١) الاشباه والنظائر ٣ : ٤٨ .

١٨ — الأسئلة الواردة على البسملة وأجوبتها :

أضاف بروكلمان الى ما ذكره من كتب الزجاجي السابقة كتاباً آخر باسم «بيان الأسئلة الواردة على البسملة وأجوبتها» ولم أجد أحداً أشار الى هذا الكتاب سواه ٠

والخلاصة ان مكتبة الزجاجي هذه لم يبق منها إلا ثمانية كتب الى جانب المسائل الصغيرة التي حفظها لنا السيوطي ٠ وقد طبع من هذه الكتب اثنان هما الجمل والأمالي ٠ ودفعت بالثالث منها وهو «الإيضاح» الى الطبع وبدأت بإعداد كتاب «اللامات» وأنا اسأل الله أن يمدّني بعونه وتوفيقه لأتابع تحقيق سائر آثار الزجاجي فهي نعم الذخر في النحو واللغة والأدب ٠

ARCHIVE

وها كم نماذج عن كتاب «الإيضاح في علل النحو» وشرح مقدمة «أدب الكاتب» وكتاب «اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل» وكتاب «اللامات» للزجاجي :

(يتبع) مازن المبارك

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين
الحمد لله ذي المنن الجزيلة والعطايا الجليلة التي لا ينقطع إمدادها ولا
تدرك غاياتها وصلى الله على نبيه محمد وآله الطيبين الطاهرين
وسلم تسليما . اعلم وفقنا الله وإياك للرشاد والهدى وحسن
سبل الصواب والرشد أن الكتب المصنفة في فنون العلم كثيرة جدا
لا يحصل فريق اشتهر في التأليف في النوع الذي يحاولونه منه
حتى لو أن متكلفا تكلف الإحاطة بما صنف من فن واحد من فنون
العلم لم يتيسر ذلك عليه ولم يبلغه الاستقصاء وأفنى أكثر
زمانه [illegible] لم يمكنه الإحاطة بذلك حتى يقضي على نفسه بأنه لم
يبق مصنف في ذلك الفن لأن الكلام لا يستطاع حصره والقرائح
مختلفة غير متفقة والآراء متباينة غير متشاكلة كل يؤلف على
قدر طباعه واختيار نفسه ومحله من ذلك العلم الذي يعانيه ويروم
[illegible] التصنيف منه علوا واقتدارا عليه أو قصاعته وتبلدا
فيه أو توسطا بين هاتين المنزلتين من لم يسبق له معرفة المقدمات
التي ذكرنا أن يكون كل من نظر في تصنيفه موافقا له طبعا
ورأيا واختيارا أو محلا من ذلك بل لعل أكثر من ينظر فيه مخالف
له في ضرب من هذه الضروب أو في أكثرها فيميله عنه ما
نافره منه إلى ما ألفه وعرفه وإذا كان ما ذكرناه صحيحا عند كل
ذي لب غير [illegible] كل مستشهد وعقله الناس ومعترض مقداره من
العلم للمعاني والموازنة بعرضه بتصنيف كتاب في فن من
فنون العلم أن يكون كان من حداه أو مثله أن يتأبر على صون ما صانه
طول عمره من جاهه وعقله ومحله ويجهد نفسه في ستر ما ستره
الأيام من خفي أسراره وغامض أخباره لأنه قبل تكلفه ذلك

كتاب الإيضاح في علل النحو للزجاجي

صورة وجه الورقة الثانية وفيها أول الخطبة

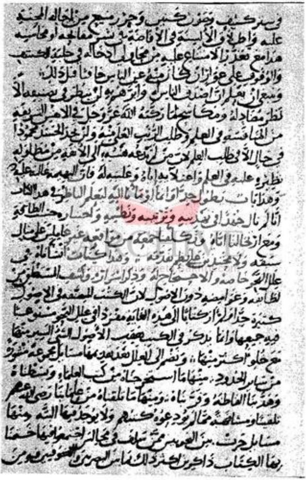

وستر كثيف يحول دونه وحجز منيع من الجهالة المحيطة
عليه واطلاق الألسنة في الإفاضة في نشر معايبه أو محاسنه
مرامٍ تعذَّر إلا مساغ عليه من مجاوله إدخاله في جملة الكتب
والوقوف على غوامضه كان منعي عن الناس خافيا قبل ذلك
وسعى أن يعلم أن أنصف الناس وأبرّهم من لم ينظر في تصنيفه إلا
نظر مضادّه ومكاشحه لما ركّبه الله عز وجل في الإنس من السجية
من المنافسة في العلم وطلب الرتب العلية فيه ولن يجد الحسد محمودا
في حال إلا في طلب العلم لأن من لم تدعه همته إلى الأنفة من تطاول
نظيره عليه في العلم واعتلائه بذلك عليه فاته النهوض للتعلّم
وهذا باب يطول جدا إن أتينا عليه وإنما نبهنا به ليعلم الناظر في هذا الكتاب
أنا لم نأل جهدا في تهذيبه وترتيبه وتقريبه وإحسان ... الطاقة
ومع أن خالنا أناه وتكلفنا جمعه من مواقعه غير عاملين على مثال
سبقه ولا محتذين على نظير تقدمه وهذا كتاب أنشأناه في
علل النحو خاصة والاحتجاج له وذكر أسراره وكشف المستغلق من
لطائفه وغوامضه دون الأصول لأن الكتب المصنفة في الأصول
كثيرة جدا ولم نر كتابا إلى هذه الغاية مفردا في علل النحو مستوعبا
فيه جميعها وإنما يذكر في الكتب عقب الأصول الشيء اليسير منها
مع خلو أكثرها منها ونضم إلى العلل بعقبها مسائل مجموعة منثورة
من مسائل الحدود منها ما استخرجناه من كتب العلماء واستنبطناه
وهذبنا ألفاظه وقربناه ومنها ما تلقيناه من علمائنا رضي الله عنهم
تلقيا ومشافهة مما لم يودعوه كتبهم ولا يوجد فيها البتة ومنها
مسائل جرت بين العلماء ممن سلف في مجالس اجتمعوا فيها فجمعناها
في هذا الكتاب ذاكرين اختلاف الناس البصريين والكوفيين فيه من

كتاب الإيضاح في علل النحو للزجاجي

صورة ظهر الورقة الثانية وفيها أول الخطبة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلوه على سيدنا محمد واله وسلم
قال أخبرنا الشيخ أبو القسم عبد الرحمن بن إسحق الزجاجي رحمه الله
قال أما بعد [illegible] الأدب [illegible] وعضد
أهل العلم بامدادك [illegible]
وكل عصر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
لما العز الله على من [illegible]
[illegible]
[illegible] الموسوم بأدب
الكتاب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
من الكتاب [illegible] إن شاء الله تعالى وبالله التوفيق

شرح مقدمة « أدب الكاتب » للزجاجي
صورة وجه الورقة الثانية وفيها اوله

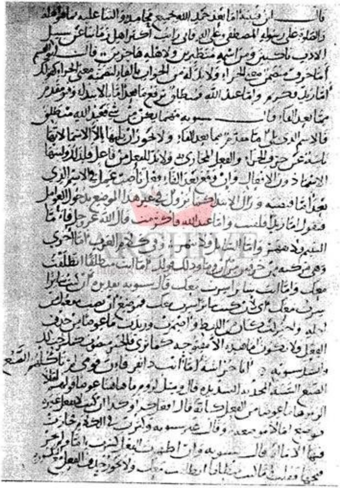

شرح مقدمة « أدب الكاتب » للزجاجي
صورة ظهر الورقة الثانية وفيها أوله

بسم الله الرحمن الرحيم
قال ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي وقراه عليه الحمد لله
الملك الحق المبين ذي القدرة والجلال والعزة والعظمة والبهاء والسلطان
الحكيم القديم الاحد الفرد الصمد العليم ذي الاسماء الحسنى
والصفات العلى الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا خالق الخلق
بقدرته ومصرفه على ارادته ومفنيه عند انقضاء مدته احمده
على ما ابلى وانعم واولى واسئله العون على طاعته والتوفيق لما
يرضى وصلى الله على خاتم المرسلين وافضل النبيين محمد
وآله الطيبين الطاهرين هذا كتاب اردته لشرح اشتقاق
اسماء الله عز وجل وصفاته المذكورة في القرآن من احصاها
دخل الجنة حسب ما رواها اهل العلم واسندوها بعد
الرواية بشواهد من كتاب الله عز وجل فاستخرجوا منه
[illegible] يعارض فيها شك ولا يختلج في الصدر [illegible]
بها على مذاهب العربية العلماء باللغة العارفين باساليب
كلام العرب واشتقاقه وتصاريفه غير عادل عن [illegible]
العرب في ذلك فاستوعبنا الكتاب بالفرق بين الاسم والنعت
ووجوه النعت في كلام العرب ومجازه في صفات الله عز وجل
[illegible] بذلك وذكرهم كل بالاشتقاق ومن ابى ذلك

كتاب اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل
وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل للزجاجي
صورة وجه الورقة الثانية وفيها خطبته

وإليه عليه وبالله التوفيق فهو حسبنا ونعم الوكيل حدثني أبو عبد الله
الحسين بن محمد الرازي الفقيه قال حدثني أبو بكر محمد بن عمير الرازي
قال حدثني أبو الفضل عبد الرحمن بن عصمة العقبي بمصر قال
حدثني صفوان بن نافع بن صخر بن موهب قال حدثني سفيان عن
أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها
دخل الجنة قال صفوان فحدثني داود بن عمرو بن قيس المكي قال سألنا
سفين أن يملي علينا التسعة والتسعين اسما التي لله عز وجل من القرآن
فوعدنا أن يخرجها لنا فلما أبطأ علينا أتينا أبا زيد فأملى علينا هذه
الأسماء فأتينا سفين فعرضناها عليه فنظر فيها أربع مرات فقال
هي هن فقلنا له اقرأها علينا فقرأها علينا سفين في فاتحة الكتاب
يا الله يا رب يا رحمن يا رحيم يا مالك وفي البقرة ستة وعشرون اسما
يا محيط يا قدير يا عليم يا تواب يا حكيم يا بصير يا واسع يا بديع يا سميع
يا كافي يا رؤوف يا شاكر يا إله يا واحد يا غفور يا حليم يا قابض يا باسط
يا لا إله إلا هو يا حي يا قيوم يا علي يا عظيم يا ولي يا غني يا حميد وفي آل عمران
أربعة أسماء يا قائم يا وهاب يا سريع يا خبير وفي النساء ستة أسماء
يا رقيب يا حسيب يا شهيد يا عفو يا مقيت يا وكيل وفي الأنعام خمسة أسماء
يا باطن يا ظاهر يا قدير يا لطيف يا خبير وفي الأعراف اسمان يا محيي يا مميت وفي

كتاب اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل
وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل للزجاجي
صورة ظهر الورقة الثانية وفيها خطبته

بسم الله الرحمن الرحيم ومن يتوكل على الله فهو حسبه
قال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي رحمه الله عليه
هذا كتاب مختصر في ذكر اللامات ومواقعها في كلام العرب
وكتاب الله عز وجل ومعانيها وتصرفها والاحتجاج لكل نوع
من مواضعها وما قال العلماء في بعضها من الخلاف وبالله التوفيق
فاللامات إحدى وثلاثون لاما
لام أصلية لام التعريف لام الملك لام الاستحقاق
لام كي لام الجحود لام إن لام الابتداء
لام التعجب لام تدخل على المقسم به لام تكون جواب القسم لام المستغاث به
لام المستغاث له لام الأمر لام التبيين لام تدخل [illegible]
لام تدخل في النداء من المتعجب منه لام تدخل [illegible] الفعل المستقبل
لام تدخل في القسم ولا يجوز حذفها لام تلزم إن المكسورة إذا خففت من الثقيلة
لام العاقبة وتسميها الكوفيون لام الصيرورة لام التبعيض
لام لو ولولا لام التكثير لام تزاد في عدل وما أشبهه
لام تزاد في لعل لام إيضاح المفعول من أجله لام تعاقب حروف
وتعاقبها لام تكون بمعنى أن لام الشرط لام توصل الأفعال
إلى المفعولين وقد يجوز وصل الفعل بغيرها ذكر اللام الأصلية
اعلم أنها تكون في الأسماء والأفعال والحروف وتكون فاء وعينا ولاما
فكونها فاء قولك لعب ولهو ولحم وما أشبه ذلك كما قال الله عز وجل
إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وكذلك ما أشبهه وكونها عينا قولك
ملك وسلام كما قال تعالى السلام المؤمن المهيمن وكذلك السلم
كما قال تعالى وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وكونها لام الفعل قولك
خطل وجبل وابل ووبل وجمل وكذلك ما أشبهه فهذا كونها في الأسماء

كتاب اللامات للزجاجي

صورة وجه الورقة الثانية وفيها خطبة الكتاب وأوله

كتاب اللامات للزجاجي

صورة ظهر الورقة الثانية وفيها خطبة الكتاب وأوله

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور ا٠ل٠ كليرفيل
نقله الى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي
(لجنة المصطلحات الطبية في كلية الطب من جامعة دمشق)

– ٤ –

رقم المصطلح			رقم المصطلح
١١٣٢	مَرَض مَفْصِلي عَصَبي صِهامي	Arthropathie nerveuse tabétique	1132
١١٣٥	فُقاس، مَرَق، داء مفصلي حَتَلي متدن أو مشوّه	Arthrose, Arthropathie dystrophique dégénérative ou déformante	1135

وأفضل أن يقال: اعتلال المفصل التابسي (١) .

ويعني بـ (Arthrose) التبدل الطارئ على أحد المفاصل بسائق الشيخوخة والهرم . وترجمه مجمع اللغة بداء المفصليات ، وترجم Deptrophie بسَغَل و (Dégénération) بفساد .

ودرج كاتب هذه السطور على ترجمة الكلمة Ose بتنكس كما هو الواقع التشريحي في هذه الفئة من العلل فيكون ترجمة (Arthrose) تنكس

(١) سبقت الملاحظة على كلمة تابس و Arthropathie الأولى في الصفحة ٩٨ من الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين ، والثانية في الصفحة ٤٧٨ من الجزء الثالث من المجلد نفسه .

المفصل ، ثم اعتلال المفصل (Arthropathie) بسوء التغذية (Dystrophia) التنكسي (Dégénération) أو المشوه ، وهي الترجمة الكاملة لما جاء في كلمات هذا المصطلح .

أما ما جاء في ترجمة اللجنة : فقاس فقد جاء في اللسان الفقاس داء شبيه بالتشنج ولا أراه يفيد المعنى المطلوب وكذلك كلمة مَرِق ففي اللسان أيضاً وَمَرِق الشيءُ مَرَقاً خَفِيّ ، ومَرِقَت مفاصله وانسرقت ضعفت . وأما حَثَل وسَغَل [1] كلاهما يدل على سوء الغذاء وحريّ بأن يخصص بما يعرض للرضّع من ضعف وهزال من سوء الغذاء . ولا أظن التنكس إلاّ أفضل من التدني والفساد [2] في ترجمة (Dégénération) .

1147 Articulation de poli- ارتفاقي ، مفصل فَخفخ ١١٤٧
chinelle, amphiarthrose

وسقط في الطبع من الأصل الفرنسي كلمتان لم تنتبه اللجنة اليهما . ففي الأصل :
Art. ballotante de polichinelle amphiarthrose, articulation mixte

وتكون الترجمة لهذا المصطلح بكامله : مَفْصِل خيال الظل [3] المهتز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) فقد جاء في اللسان الحَثَل سوء الرضاع والحال ، وقد أحثلته أمه ؛ والمُحْثَل السيء الغذاء الى أن قال احتَلَت الصبي إذا أساءت غذاءه وأحثله الدهر أساء حاله . أما سَغَل فقد جاء في اللسان ايضاً السَغِل الدقيق القوائم الصغير الجثة الضعيف والاسم السَغَل ، والسَّغِل والوَغِل السيء الغذاء المضطرب الأعضاء السيء الخُلُق يقال صبيٌ سَغِلٌ بيّن السَغَل .

(٢) في اللسان التَكْسُ قلب الشيء على رأسه ، وقال وقوله تعالى : ومن نُعمّره نُنكسْه في الخَلْق معناه من أطلنا عمره نكّسنا خلقه فصار بدل القوة ضعفاً وبدل الشباب هرماً . وفي اللسان أيضاً والمدنّي من الناس الضعيف الذي إذا آواه الليل لم يَبْرح ضعفاً .

(٣) (Polichinelle) عُرف بخيال الظل وتدعوه العامة في ديار الشام كراكوز وفي مصر آراجوز وكلاهما تصحيف لكلمة قره كوز التركية ومعناها العين السوداء .

المفصل المزدوج ، المفصل المختلط . أما الفَخَخُ فقد جاء في القاموس المحيط : الفخُ استرخاء الرِجْلَيْن كالفَخَخ والفخة . ولا أراها تفيد المعنى المطلوب والمفصل الارتفاقي أفضل منها .

1156 Arythmie عدم اتساق ١١٥٦

والمشهور هو عدم الانتظام وإن شئت اللاانتظام ، وهو ما نراه في كتب الأقدمين الطبية [1] أيضاً كما أن مجمع اللغة أقر عدم النظم ونشوز النظم .

1158 Arythmie perpétuelle, عدم اتساق دائم ١١٥٨

delirium cordis ثم هذيان قلبي

والأصح أن يقال عدم الانتظام الدائم وهذيان القلب بسبب حركته اللاانظامية ، وقد يفهم من هذيان قلبي هذيان من منشأ قلبي .

1162 Ascaride lombricoïde صَفَر ، حيَّة البَطْن ، ١١٦٢

دودة خراطينية

وأقر مجمع اللغة اسكارس لمبريكوئيد والصفر الخراطيني .

وعندي أن يقتصر على اسكارس . فقد جاء في اللسان : والصَّفَر داء في البطن يصفر منه الوجه والصفر حيَّة تلزق بالضلوع فتعضها الواحد والجميع في ذلك سواء وقيل واحدته صَفَرة وقيل الصَّفَر دابة تعض الضلوع والشراسيف ، وقيل الصَّفَر حَنَش البَطْن . أقول ونحن في غنى عن هذا كله باقتصارنا على اسكارس أو اسكاريد ، ولا صلة بين هذه الديدان وصنف الحيَّات .

(١) قانون ابن سينا الفن الثاني الفصل الأول كلام كلي في النبض الصفحة ٦٤ من طبعة روما . وكذلك في الصفحة ٢٦٣ من الجزء الأول من كامل الصناعة للمجوسي .

١١٦٥ سِقْيٌ (سائل الجن) Ascite, hydropéritoine 1165

استسقاء الصفاق

وأقر مجمع اللغة استسقاء الحِلّة (Ascite) . والأفضل أن تخصص كلمة استسقاء بـ (Hydropisie) أو (Anasarque) شأن ما عملته الجنة .

أما الصِفاق فقد تقدم ترجيحي تخصيصها بـ (Aponévrose)[1] .

١١٧٢ مأوى المجاذيب Asile d'aliénés 1172

ونقدت ملاحظتي على المجاذيب[2] وأرجح أن يقال مأوى أو ملجأ المجانين .

١١٨٤ تصحيح Assainissement 1184

وأرجح أن يقال اصلاح صحي .

١٢٠٠ اصمام الأصوات Assourdissement des bruits 1200

والأرجح اصمام الدقنين أو خفتها إذا كان الأمر متعلقاً بالقلب[3] .

١٢٠٢ تأمين ضد الطوارئ Assurance contre les accidents du travail 1202

استعهاد ضد الطوارئ

وأفضل أن يقال تأمين ضد الإصابات .

١٢٠٥ غَيَف (عدم القدرة على الوقوف) Astasie 1205

وأقر مجمع اللغة العجز عن الوقوف . والأفضل أن يقال لاوقوف قياساً على ما تقدم في المصطلح ذي الرقم ٧[4] . لأن المصاب بهذا الخلل لا يستطيع الوقوف بينما حركات رجليه تبقى صحيحة .

(١) الصفحة ٤٧٥ من الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين .
(٢) الصفحة ٣١٥ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين .
(٣) الصفحة ٣٠٥ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين في المقطة ذات الرقم ٦٩
(٤) الصفحة ٣٠٢ من الجزء الثاني من هذه المجلة (المجلد الرابع والثلاثون) .

أما الغَيَف وقد جاء على وزن فَعَل الوزن الذي اختارته اللجنة للدلالة على المرض بالاشتقاق من تغيف فقد جاء في اللسان تغيّف تبختر ، وتغيّف مشى مِشية الطّوال ، وقيل تغيف مرّ مراً سهلاً مسرعاً وتغيّف الفرس اذا تعطف ومال في أحد جانبيه . ولا أرى في هذه الكلمة ما يفيد معنى (Abasie) .

1205 Astasie - abasie, ataxie par défaut de coordination automatique — ١٢٠٥ رَجَز ، خَطَران بنقص الانتظام الانطلاقي

وأقر مجمع اللغة كلمة قُماد (١) .

وأرجح أن يترجم هذا المصطلح بلا خطو ولا وقوف والأتاكسيا بفقد الانسجام التلقائي .

أما الرَّجز فقد جاء في اللسان داء يصيب الإبل في اعجازها ، والرَّجز أن تضطرب رجل البعير أو فخذاه اذا أراد القيام أو ثار ساعة ثم تنبسط ، والرَّجز ارتعاد يصيب البعير والناقة في أفخاذهما ومؤخرهما عند القيام .

وأما الخَطَران ففي اللسان:خَطَر يَخْطِر اذا تبختر، والخَطرُ والخَطَران عند الصولة والنشاط وهو التصاول والوعيد .

ولا أرى في كليهما دلالة على معنى اللفظة المذكورة .

1215 Asthme allergique — ١٢١٥ رَبْو تحَاوبي

أقول رَبْو آليرجياني (٢) .

1216 Asthme cardiaque — ١٢١٦ رَبْو قلبي

(١) الصفحة ٣٠٢ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين ، وقد تقدم فيها رأي كاتب السطور في هذه الكلمة .

(٢) الصفحة ٣١٨ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين .

وأرجح رَبْو قُلابي نسبة الى القُلاب وهو علة القلب ، لأن هذا النوع من الربو يبدو في القلوب (العليل بعلة قلبية) .

١٢١٨ رَبْو الحشائش ، حمى الحشائش ، زكام الحشائش — Asthme des foins, fièvre des foins, rhume des foins — 1218

أقول رَبْو الكلأ ، حمى الكلأ ، زكام الكلأ . فقد جاء في اللسان الكلأ العُشب رَطْبُه ويابسه ، وهو المقصود هنا لأن هذا النوع من الربو الآليرجياني منه ما يتأتى عن الرَطْب من الكلا ومنه ما ينجم عن يابسه .

١٢٢١ رَبْو عَرَضي ، رَبْو موهم — Asthme symptomatique — 1221

أقول رَبْو عرضي ، رَبْو كاذب [1] .

١٢٢٣ حَرَجُ البَصَر — Astigmatisme, astigmie — 1223

وأقر مجمع اللغة اللابؤرية والاستجمية معرَّبة . وهو خلل في طبقات العين من شأنه أن يجعل ارتسام المرئيات على الشبكة لا يتم بشكل نقطي بل بشكل خطي ، مما يجوّز استعمال الابؤرية على هذا الخلل .

أما حَرَج [2] البصر فلا أراه يفي بالمعنى المذكور فقد جاء في اللسان : وحَرِجَت عينُه تحرَجُ حَرَجاً أي حارت ، وقيل معناه أنهـا لا تنصرف ولا تَطرِفَ من شدة النَظَر وقال الحَرَجُ أن ينظر الرجل فلا يستطيع أن يتحرك من مكانه فرَقا وغَيْظاً .

(١) الصفحة ٤٦٩ من الجزء الثالث من هـذه المجلة (المجلد الرابع والثلاثون) في اللفظة ذات الرقم ٧٣٤ .

(٢) أرى في ضبط هذه اللفظة غلطاً مطبعياً لم تنتبه اللجنة الى تصويبه إذ لم أعثر في اللسان ولا في التاج إلا قوله وحَرَّجَ الرجل أنيابه يحرُجُها حَرْجاً حك بعضها الى بعض من الحرد .

1232 Ataxique مُتَهَزِّع ، مَزَعي ١٢٣٢

1233 Ataxie هَزَع ، اصطراب الحركة ١٢٣٣

وأقر مجمع اللغة تخلُّج لكلمة (Ataxie) .

أقول ان الترجمة اللفظية لهذا المصطلح هو اللاانتظام أو عدم الانتظـام ، وتطلق على الاضطراب البادي في حركة العضلات في الطرفين العلويين أو السفليين . وقد درجت على استعمال أتاكسيا . أما تخلج فقد جاء في اللسان : وتخلّج المجنون في مشيته تجاذب يمناً وشمالا والمجنون يتخلج في مشيته أي يتمايل كأنما يجتذب مرة يمنة ومرة يسرة ، وتخلج المفلوج [1] في مشيته أي تفكك وتمايل والتخلج في المشي مثل التخلع . فالتخلج اذن خلل خاص بالمشية وذو صلة بالطرفين السفليين بينما الأتاكسيا ينبغي أن تشمل اضطراب الحركة في عضلات الطرفين العلويين والسفليين على السواء .

وأما التهزع فقد جاء في اللسان أيضاً الهَزَع والتهزع الاضطراب ، تهزع الرمح اضطرب واهتز واهتزاع القناة والسيف اهتزازهما اذا هُزا ، وتهزعت المرأة اضطربت في مشيتها . أقول واذا دلّ التهزع على الاضطراب في الحركة فلا أراه يفي بالمعنى المقصود من أتاكسيا .

1234 Atélectasie, état foetal du poumon, pneumonie marginale; apnematosis هُمُود الرئة ، حالة جنينية للرئة ، ذات الرئة الهامشية ١٢٣٤

(١) ودرج كتاب العصور عن استعمال التخلج في المشية أو المشية التخلجية للدلالة على (Démarche en fauchant) وهي المشية البادية في المفلوج .

وأقر مجمع اللغة لا تمدد ترجمة لِ Atélectasie ، ودرجت على استعمال كلمة انخماص[1] فأقول في ترجمة هذه الألفاظ : انخماص ، حالة جنينية للرئة ، ذات الرئة الهامشية واللارئوية (وقد أهملت اللجنة ترجمتها) .

1239 Athymie ١٢٣٩ فتور ، لا سَعْتَرية

وأرجح أن يقال لا شعور ولا توتة . فالكلمة الأولى هي الترجمة الحرفية لِ (Athmie) في معناها الأول . أما اطلاق الغدة السَعْتَرية عن (thymus) فلا أظن الكلمة مشتقة من السعتر ، وهي التوتة وقد أقر مجمع اللغة هذه الكلمة .

1284 Atypique ١٢٨٤ غير مثالي

وأرجح لا نموذجي .

1309 Autoinfection ١٣٠٩ خمج ذاتي

وأرجح أنتان ذاتي وعدونة ذاتية[2] .

1336 Avitaminose ١٣٣٦ داء لا حَيَيْمِيني

أقول عوز الفيتامين ولا أرى لزوماً لاستعمال حَيَيْمين عوضاً عن فيتامين الكلمة الدارجة في جميع اللغات .

---

(١) في اللسان : والخَمْص خماصة البطن وهو دقة خِلقته ورجل خُمصان وخميص الحشا أي ضامر البطن إلى أن قال واخْمَص الجُرحُ وخَمَص الجُرح يخمُص خُموصاً والخمس بالخاء والحاء ذهب ورمُه كخَمَص والحَمَص .

(٢) الصفحة ٥٠ من الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

حرف B

١٣٨٣ عُصيّة الجمرة المشوّمة Bacille du charbon symptomatique 1383

وأرجح عصية الجمرة العرَضية ما دمنا نطلق العرَض على (Symptome) ٠

١٣٨٤ عُصَيّة غشائية (عُصَيّة كليبس ـ لوفلر) Bacille diphtérique (de Klebs - Lœffler) 1384

وأرجح عُصَيّة دفتريائية أو خانوقية ، وأن نخصص غشاء لترجمة (Membrane) ٠

١٣٨٦ عصية مشبِّهة بالغشائية ، عصية شبغشائية Bacille pseudodiphtérique 1386

وأرجح عصية دفتريائية كاذبة ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٣٩٧ عُصيّة حصبة الخنزير Bacille du rouget de porc 1397

والصحيح عصيّة حُمرة الخنزير لأن الاسم الفني لهذه العصية هو (Bacillus legripelas mès)

١٤٠٩ عصيات التّدعُص اللاهوائية (والمولدة للغاز) Bacilles anaérobies de la putréfration (provoquant la formation de gaz). 1409

وأرجح عصيات التفسخ اللاهوائية باعتبار التفسخ كلمة دارجة ومعروفة ٠

١٤١٥ عصيات نقانقيّة Bacillus botulinus 1415

وأقر مجمع اللغة باسيل التسمم المباري ، باسيل التسمم اللقانقي ٠ ودرجت على استعمال التسمم الوشيقي ترجمة لـ (Botulisme) وهو الانسمام الانسمام الناجم عن أكل اللحوم المقدَّدة (المحفوظة) ٠ فقد جاء في اللسان :

الوَشِيقُ والوَشِيقةُ لحم يُغلى في ماء ملح ثم يُرفع ، وقيل هو أن يُغلى إغلاءة ثم يرفع وقيل يُقدَّد ويحمل في الأسفار وهي أبقى قديد .

1418 Bacillus œdematiens عُصيّات خازبة ١٤١٨

وأقر مجمع اللغة لهذه اللفظة باسيل اوديمي . والوَذَمة كلمة شائعة تعريب (Oedeme) استعملت في الكتب القديمة وأرجح ابقاءها فأقول عصيات موذمة .

1420 Bacillus prodigiosus عُصيّات شُؤمية ١٤٢٠

وأقر مجمع اللغة الباسيل العجيب . لأن المعروف عن (Prodigieux) أنه العجيب أو الخارق للعادة وللطبيعة ولا أظن أن لهذه الكلمة من صلة بالشؤم . لهذا أرجح أن يقال العُصيّات العجيبة .

1432 Bactériostatique مُثْبِتة الجراثيم ١٤٣٢

وأرجح موقفة الجراثيم ، لأن من شأن هذه الفئة من العقاقير أن توقف نمو الجراثيم وتكثرها لا أن تثبتها ، والتثبيت يخصص لـ (Fixation) .

1485 Balantidiose (balantidiase) داء الزِقّيات ١٤٨٥

وأقر مجمع اللغة معرباً هذه اللفظة بالبلانتيدية وهو الأرجح .

1532 Barbe de baleine,baleine لِحية البال ، بال ١٥٣٢

وأرجح أن يقال ريش الحوت أو البال اذا جنحنا الى التعريب والمقصود من هذه اللفظة كما جاء في معجم لاروس النهايات الدقيقة من الصفحة القرنية البادية في فم الحوت والتي تتخذها لضبط صغار السمك . وجاء في الترجمة الانكليزية لهذه اللفظة (Whobbom) ومعناه عظم الحوت وفي الألمانية (Féochbèn) ومعناه عظم السمك .

1541 Barrière encéphaloliquidienne سد المائع الدماغي ١٥٤١

وأرجح العائقة الدماغية السائلة .

١٥٥١ أسمر الى السواد Basané 1551

أرجح أسْعَر . ففي اللسان والسُّعْرَة والسُّعَر لون يضرب الى السواد فُوَيق الأُدمة ورجل أسْعَر وامرأة سَعْراء ، وجاء في ترجمة اللفظة الانكليزية (Sunburrned) وهي الوَمْحة فقد جاء في اللسان أيضاً الوَمْحة الأثر من الشمس .

١٦٢٩ هُزال رُزّي Béri - béri, Kakke 1629

وأقر مجمع اللغة البَري ، وتشير هذه اللفظة الى علة مردها الى عَوَز الفيتامين ب ، وقد يفهم من هُزال رزي أن أكل الرز هو الباعث عليها وصلتها بالرز هو من الاقتصار على الغذاء به وخلوه من هذا النوع من الفيتامين ليس إلا .

١٧١٣ (٤) حصار التَّشجُّرات 1713 (4) Blocage des arborisations

وأفضل حصار الغُصَيْنات .

١٧٥٦ انسمام بالبَخَص ، انسمام فصيدي Botulisme, allantiasis 1756

وأرجح الانسمام الوَشيقي أو الانسمام بالوَشيق (ينظر الى ما ورد في اللفظة ذات الرقم ١٤١٥ آنفاً) بعد أن سبق للجنة أن استعملت الانسمام النقانقي في ترجمة تلك اللفظة .

أما البَخَص فلا أراه يفي بالمراد [١] وكذلك الفصيد [٢] .

---

(١) في اللسان : البَخَص في العين لحم عند الجفن الأسفل ، والبَخَص لحم القدم ولحم فِرْسِن البعير ولحم اصول الاصابع مما يلي الراحة . إلى أن قال : هو لحم يخالطه بياض من فساد يحل فيه قال مما يدل على ان اللحم خالطه الفساد . اقول وهذا لا يدل على انه اللحم المقدد والحافظ شأن الحال في كلمة الوَشيق .

(٢) في اللسان : والفصيد دم كان يوضع في الجاهلية في معى من فَصْد عِرْق البعير ويشوى وكان أهل الجاهلية يأكلونه ويطعمونه الضيف في الأزمة .

١٧٥٩ صُنبور Bouche d'égout 1759

وأرجع الكِرْياس ، ومدلول اللفظة الفرنجية المجرى أو الفتحة البادية في الشوارع والمتصلة بالكنيف (السياق) وعلى ذلك كانت الترجمة الانكليزية لهذه اللفظة (Street - grelly) وترجمتها مجرى الشارع وكذلك اللفظة الألمانية (Strossen eimlauf) أيضاً ·

فقد جاء في اللسان : والكِرياس الكَنيف ، وقيل هو الكنيف الذي يكون مُشرفاً على سَطح بقناة الى الأرض · أما الصنبور فقد جاء في اللسان فم القناة (دون أن تخصص بالكنيف وربما كانت القناة الرمح أو العصا) ، كما أن لهذه الكلمة معانٍ عديدة أخرى ·

١٧٨١ هُبو Bouffée de chaleur 1781

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأرجع هَبيب الحرارة أو فورتها · وهو ما تشعر المرأة القاعد[1] من حس الحرارة المباغت بين حين وآخر في بدء انقطاع طمثها ويعرف بين العامة بـ (الهبلة والهبلات) · وهي ثورة من الحرارة تدوم مدة قصيرة ·

ولم أجد في الهُبُو[2] ما يدل على هبيب الحرارة المذكور ·

---

(١) معجم اللغة وفي اللسان : وقَعَدَت المرأة عن الحَيْض والولد تَقْعُد قُعوداً وهي قاعد انقطع عنها والجمع قواعد .

(٢) في اللسان : الهَباء التراب الذي تطيره الريح ، وما دَقّ من التراب ، وهبا الرَّماد يهبو اختلط وهَمَد ، إذا سَكَن لهب النار ولم يطفأ جَمْرها قيل خَمَدت فإن طفِئت البتة قيل هَمَدت ، فإذا صارت رَماداً قيل هبا يهبو وهو هابٍ ، الى أن قال الهَباء في الأصل ما ارتفع تحت سنابك الخيل ، والشيء المُنبَثّ الذي تراه في ضوء الشمس فشبه بها اتباعه الى أن قال الهَبْو الظليم .

١٨٠٨ لُقمة تأثرية أو لُقمة هَرَعية Boule émotive ou hystérique, 1808

كرة هَرَعية globe hystérique

أقول لُقمة انفعالية أو لقمة هيستريائية ، كرة هيستريائية [1] .

١٨١١ سُعار ، ضَوَر Boulimie, fringale 1811

وأرجح أن يقال بوليميا تعريبا أو الشَّهْوة الكلبية .

فدلالة اللفظة الشعور بالجوع الشديد الذي لا يشبع به المصاب شأن ما يبدو في بعض العلل العصبية المخية والنفسانية .

واقترح مجمع اللغة الاستجاعة (الجوع البقري ، الجوع الكلبي) هذا ولا شك أن السعار والضور كلاهما يفضل على الاستجاعة ، إلا أن الأمر لا يتعلق في الحقيقة بالجوع الحقيقي بل الأمر جوع كاذب والأحرى شعور بالجوع لا يستند الى أساس يبرره ، لذا أرجح الشهوة الكلبية وبوليميا ، اللفظتين اللتين استعملها من القديم أطباء العرب في مؤلفاتهم [2] .

١٨٩٤ صوت قلبي ، نفخة قلبية Bruit cardiaque souffle cardiaque 1894

وأرجح دقة القلب [3] ، نفمة قلبية .

١٨٩٦ صوت رنّان معدني (في التهاب الوتين المزمن) Bruit clangoreux 1896

---

(١) ينظر الى الصفحتين ٣٠٠ و ٣٠٥ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الجزء الأول من كامل الصناعة ٢٣٥ والكتاب الثالث من قانون ابن سينا الصفحة ٣٣٩ (اسل في الجوع واشتداده وفي الشهوة الكلبية) .

(٣) الصفحة ٣٠٠ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة في اللفظة ذات الرقم ٦٩ .

ودرجت على استعمال الدقة المُدَوية ما دام الأمر عائداً للقلب مترجماً (Clangor) بالدَّويّ وتاركاً الرنين والرنة لترجمة (Résonance) شأن ما فعلته اللجنة في ترجمة هذه اللفظة (رقم ١١٧٦٤) ·

1906 Bruit de pot fêlé, صوت الطاجن المشقوق ١٩٠٦

bruit métallique صوت معدني

وأرجح صَوْت الحُق المشقوق ، صوت معدني ، لأن اللفظة تشير الى الصوت الصادر عن الحُق الآنية المصنوعة من الفَخار ·

حرف C

1933 Cabinet automatique à la tourbe مِرْحاض يُلقي فيه التراب النحمي آلياً ١٩٣٣

ARCHIVE

وأرجح مُجَرة : التراب التلقائية لتخصيص المِرْحاض لبيت الخلاء ·

http://Archivebeta.Sakhrit.com

1934 Cabinet de consultation غُرْفة معاينة ١٩٣٤

وأرجح غرفة الاستشارة ·

1939 Cachectique حارض ، حَرَضي ١٩٣٩

1941 Cachexie حَرَض ١٩٤١

وأقر مجمع اللغة الدَنَف وهي الكلمة الشائعة بين الأطباء ، لذلك أرجح ابقاءها ، فأقول في اللفظة الأولى دَنَفي وفي الثانية دَنِف ·

1943 Cachexie strumiprive, c. thyréoprive myxœdème opératoire حَرَض سِلعي ، حَرَض الأعاد الدرقي ، خزب مخاطي بضعي ١٩٤٣

وأرجح دَنَف سِلْعي ، دَنَف حِرْمان الدرق ، وَذَمة مخاطية بضعية ·

1961 Caféine, triméthylxanthine بُنين ، مثلث المتيل كزانثين ١٩٦١

وأرجح تعريب اللفظة فأقول كافئين أو كفئين شأن ما أقره مجمع اللغة ،
ونرى متيل كزانثين ترجيحاً أو متيل كزانثين الثلاثي .

1980 Calcium (carbonate de) carbonate de chaux ١٩٨٠ الكلسيوم (فحمات) ، فحمات الكِلْس ، انظر طباشير مهيأ

وأرجح كربونات الكلسيوم و كربونات الكِلْس .

2014 Calorie ٢٠١٤ حرّة ، سُعْر

وأقر مجمع اللغة السّعور وأرجح تعريب اللفظة فأقول كالوري أو كالوريا .

2129 Caractère dominant ٢١٢٩ صفة غالبة ، طبع غالب

ودرجت على استعمال صفة سائدة .

2130 Caractère prédominant d'une maladie ٢١٣٠ صفة غالبة أو حاكمة في مرض

وأرجح هنا الصفة الراجحة في مرض .

2131 Caractère récessif ٢١٣١ صفة مكوّنة ، طَبْع مكوّن

وأقر مجمع اللغة صفة مقهوره ودرجت على ترجمة (récessif) بتقهقر
فأقول صفة متقهقرة .

2132 Caractère sexuel ٢١٣٢ صفة شِقية ، طَبْع شقي

2132 Caractère sexuel primaire ٢١٣٢ صفة شقية بدئية

2132 Caractère sexuel secondaire ٢١٣٢ صفة شقية ثانوية

وأقر مجمع اللغة صفة جنسية وهي اللفظة الشائعة بين الناس

2133 Carbonate de zinc naturel (impur) ٢١٣٣ فحمات التوتياء الطبيعية (مشوبة)

وأرجح كربونات الزنك الطبيعية (مشوبة) .

2135 Carbone ٢١٣٥ فحم

وأرجح كربون تعريباً تاركاً فحم لـ (Charbon) .

2153 Cardia ٢١٥٣ سُدفة

والمعروف عن اللفظة الفرنجية انها تعني فؤاد المعدة أو الفؤاد ، وهذا ما أقره مجمع اللغة وكتب التشريح قديمها وحديثها تستعمل كلمة فؤاد وهي الفوهة الكائنة بين المريء والمعدة ، ولم أجد في كتب اللغة التي بين يدي ما يشير الى أن السدفة تعني فؤاد المعدة .

2157 Cardiopathie ٢١٥٧ مَرَض قلبي ، قُلاب

وأرجح اعتلال قلبي [1] تاركاً القُلاب لـ (Maladie cardiaque) .

2158 Cardio - thyréose ٢١٥٨ قُلاب درقي

وأرجح انسمام درقي قُلابي ، لأن خال القلب بأتي عن الانسمام الدرقي لا من الغدة الدرقية بحد ذاتها .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

2161 Carence ٢١٦١ فاقة

وأرجح عَوَز .

2161 Carence alimentaire ٢١٦١ فاقة غذائية

عَوَز غذائي .

2261 (2) Carence en protéines (maladie par) ٢١٦١ (٢) بفاقة الميولينات (داء)

أقول داء عوز البروتينات .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

---

(١) الصفحة ٧٨ ، من الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين من هـذه المجلة في اللفظة ١١٣١ .

كتاب النفس

لابن باجة الأندلسي

- ٨ -

الفصل العاشر

القول في قوة التخيل

والقوة المتخيلة هي التي تدرك بها معاني المحسوسات [١] . وقد اضطرب بالناظرين نظرهم فيها . فمنهم من رآها حساً [٢] ، ومنهم من رآها ظناً [٣] ، ومنهم من حكم عليها بأنها مركبة من رأي وحس [٤] ، وبيّن أن هذه القوة ليست واحدة من القوى ولا مركبة منها [٥] . لأن [٦] ما يصدق على واحدة منها بالكل

---

(١) راجع ارسطو : Arist. : De An. III. 3. 427 a 17; II. 12. 424 a 18 ؛ ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، اهوانى ص ٦٢ س ١٧ ؛ ١٥٠٦٥ ، حيدر اباد : ٥٧ و ٦٢ .

(٢) المخطوطة : نفسها .

(٣) عرّف ابن سينا الظن ، فقال : الشفا ، ورقة ١٩٢ الف ٣ : والظن هو الاعتقاد المميل إليه مع تجوز الطرف الثاني .

(٤) راجع ارسطو : Arist. : De An. III. 3. 427 a 21 ؛ وابن سينا عرف الرأى بقوله (شفا ، ورقة ١٩٢ الف ٣) : فالرأى هو الاعتقاد المجزوم به .

(٥) أرسطو : Arist. : De An. III. 3.427 b. 6; 428 a 25 ؛ ابن رشد تلخيص ، اهوانى : ٥٦ ، حيدر اباد ، ٥٣ ، والمخطوطة الفارسية ، ورقة ٤٩ الف ١١ :

پس بايد كرد مردمانى راكه ويم راقوتى پنداشتند ازراى وحس محود مركب ، وگفتنه چنانست ازانكه اگر مركب بودى ازحس وراىء محود بايستى كه حس وراىء محود كار كردندى دريك چيز درسپيدوسياه ومانه چنين بمى بينيم ....»

(٦) المخطوطة : لا ما يصدق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يكذب على الجزء من الآخر ، ويأتلف في الشكل الثاني من الضرب الرابع منه وينتج الثالث الجزئي[١] .

أمّا الظن مقامه أن يصدق عند من يظنه ، ومن التخيل عند من هو له لا يمكن أن يصدق ، مثل أن يتخيل أنّ هذا الفرس ذو قرنين وهذا ما لا يظن ولا يمكن وجوده عنده[٢] .

وأما الحس فإن كل حس فمحسوسه موجود[٣] عند ما يحسه . وليس كل متخيل كذلك[٤] ، بل قد يتخيل ما قد تلف ، وما لا يمكن أن يحسه .

ولا مركب من هذين . وذلك بيّن بما قلناه مما هذه القوة .

فنقول : أمّا انها[٥] قوة تدرك الأمور التي تقدّم الإحساس بها ـ وهيها[٦] غايبة عنا إما بفسادها أو بكونها غير معرّضة لمدرك ـ فذلك بيّن بنفسه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) ولانتاج الشكل الثاني من القياس يجب ان تختلف المقدمتان في الكيف (اي في الاثبات والنفي) وأن تكون المقدمة الكبرى كلية ، والأقسام المنتجة منه اربعة . والقسم الرابع يشمل الصغرى جزئية سالبة ، والكبرى كلية موجبة ، وينتج مثل القسم الثالث ، سالبة جزئية ، نحو بعض الانسان ليس بابيض ، وكل انكليزي ابيض ، فبعض الانسان ليس بانكليزي . او ، بعض الخيالات ليست بثابتة ، وكل الآراء ثابتة ، فبعض الخيالات ليست بآراء .

(٢) راجع ارسطو : Arist. De : An. III. 3 427 b 17 ؛ ابن رشد : تلخيص ، اهواني ، ٦٠ ، حيدر اباد ٥٥ .

(٣) ارسطو : Anist. De An. II. 5. 417 b 20 - 24

(٤) ايضاً : De An.. III. 3 428 a 6 ؛ ابن رشد ، اهواني ٥٩ ، ٦٠ ، حيدر اباد ٥٤ ، ٥٥ .

(٥) المخطوطة : أن .

(٦) المخطوطة : وهيه .

وهذه القوة ليست للإنسان فقط بل وفي أكثر الحيوان غير الناطق [1]، وليس للحيوان غير الناطق قوة أشرف منها، وسنبين ذلك فيما بعد.

وهذه القوّة تعرض لها أن تصدق وتكذب بل هي في كثير من الأمور كاذبة [2]، وهذه القوة بالطبع إذا كانت صادقة فإنها ضرورة تدرك الأمر وهو بالحال الذي أدركه الحس. وبيّن أن الأمور التي أدركتها هذه القوة ليست المحسوسات [3] (ورقة ١٦٢ الف) فإنها [4] تدرك محسوسات قد فسدت، وأيضاً فلا يمكن أن تدرك بالذات المحسوس إلا بعد أن يتقدم إدراك الحس له إلا بعرض. وقد لخص كيف ذلك في الثانية من كتاب الحس [5].

وقد قيل [6] من قبل ان الحسّ المشترك قد بقي فيه أثر المحسوس بعد غيبته

(١) قارن ابن سينا: الشفا، ورقة ١٦٠ الف ١٢: افعال النفس ثلاثة: افعال يشترك فيها الحيوان والنبات كالتغذية والتربية والتوليد، وافعال يشترك فيها الحيوانات جلها ولاحظ فيها للنبات مثل الاحساس والتخيل والحركة الارادية...

(٢) راجع ارسطو: De An. III 3. 428 a 11؛ ابن رشد: تلخيص ص ٦٠، حيدر اباد ٥٤.

(٣) قارن تدبير المتوحد، تحقيق أسين پلاسيوز، ص ٧٢: واما التي توجد عن العقل الفاعل فكلها صادقة بالذات لا بالعرض، وكذلك ما يوجد عن الفكر الصادق، وهذه الصور ليست صور الأجسام بعينها فتكون خاصة، ولا هي ايضاً مجردة عن الهيولى فتكون معقولات عامة، وليس توجد لها النسبة الخاصة ولا توجد لها حالات المعقولات العامة، بل توجد بين الصور الخاصة والمعقولات.

(٤) المخطوطة: فانما.

(٥) قارن ارسطو: Arist.: De Memoria et Rem., I. 449 b 31; 450 a 10 sq. وهذه الرسالة قد ظهرت في جوامع ابن رشد العربية وكذلك في النص العربي وفي مخطوطات التراجم العبرية التي نُقِلَت عنها كأنها كتاب ثان من كتاب الحس والمحسوس لأرسطو، انظر: Averroes Cordubenisis Compendia Librorum Aristotelis qui Parva Naturalia Vocuntur edd. Shields — Blumberg (The Medieval Academy of America, Cambridge MSS. 1949). P. 47.

(٦) المخطوطة: كان.

عنه[١] . ولكن تبين أن ذلك الأثر الذي قيل هنا هو الإحساس فإن للحس المشترك مع قوته على قبول صورة المحسوس قوةً على التمسك[٢] بها ؛ وبهذه القوة إذا صارت فعلا يعرض لكثير من الناس أن يرى شخصاً من غير أن يكون ذلك الشخص حاضرا[٣] . وهذا بيّن في المبرسمين الذين يعرض لهم في اليقظة[٤] ، فقد يعرض لبعض الأمزجة أن يكون ذلك صادقاً[٥] ؛ كما يعرض لذوي الحس المحمود . وذلك أن الحس[٦] المشترك اذا قوي وضعف

---

(١) قارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ١٣٠٦٤ ، حيدر اباد ٥٩ .

(٢) راجع ارسطو : De Somniis, 2. 459 b 8—9 ; 460 b 1 ؛ ابن رشد : الاهواني ص ٦٣ .

(٣) ايضا : De Memoria 1. 450 b 18 ; De Somniis, 3. 461 b 1

(٤) أيضا : De Somniis. 2. 458 b 26 — 29 ; 3. 460 b 29 — 30 ويقول الفارابي وابن سينا : « المبرورون والمرورون » في موضع « المبرّسمين » واللفظ الآخر شائع في كتب المتأخرين (انظر الهدية السعيدية لفضل الحق الخير ابادي ، ص ١٧١ : ولعل الفطرة السليمة يحكم بانه لايفرق الانسان بين مشاهدة صور يدركها بحواسه الظاهرة وبين مشاهدة صور يشاهدها في الرؤيا أو عند الابتلاء بالبرسام ، وص ١٧٢ : وكذا الحال في الرؤيا وبالجملة فحال تلك الصور المشاهدة للبرسم أو النائم كحال الصور المشاهدة لصحيح اليقظان في كونها مدركة جسمانية ، وفي ص ١٧٧ : وفيه ان المشاهدة قد تكون من دون الحضور عند الحواس كما في مشاهدة المبرسم والنائم .) ، والبرسام التهاب في الحجاب الذي بين الكبد والقلب ، وانظر المدينة الفاضلة تحقيق ديتريصي ، ص ٥٣ ، والشفا (ورقة ١٨٠ ١٩٠ : والصورة اذا كانت في الحس المشترك كانت محسوسة بالحقيقة فيها حتى اذا انطبع فيها صورة كاذبة في الوجود احسّه كما يعرض للممرورين .

(٥) لعل ابن باجة اشار الى كيفية « الهذيان » (Hallucination) ، انظر ابن سينا ، الشفا ، ورقة ١٨٣ ب : فإن شغلت المتخيلة من الجهتين جميعا ضعف فعلها ، وإن زال عنها الشغل من الجهتين كلتيهما كما يكون في حال النوم ، او من جهة واحدة كما يكون عند الأمراض ..... وكما عند الخوف .... ووقوع امر جسدانية .... فتلوح الصور التي في المصورة في الحاس المشترك ، فترى كأنها موجودة خارجاً .

(٦) المخطوطة : محس .

مزاج الحاسة انفعلت الحاسة عن الحس المشترك ، وقبلت الأثر ثم تحرك عنها الهواء الضامّ فقبل الأثر وصار كالشبح [١] ، ثم عاد الأثر فحرك الحاسة ، وحركت الحاسة الحس المشترك ، وقد تلخص ذلك في الثانية [٢] من كتاب الحس [٣] وتبرهن السبب فيه .

وهذه الإحساسات هي معاني المحسوسات ، ومن شأن المعاني كما تبين في الحسّ أن تحرك الهيولى التي هي قابلة بالطبع . فهي اذا كانت احساسات وفارقت [٤] < كانت > أحرى بذلك . وبين أن الهيولى [٥] أحرى مجانسة للحس المشترك موجودةٌ ، فتحركها الإحساسات فتدرك معاني المحسوسات . وليس يمكن أن تصير الإحساسات بعينها فيها ، فإن ما لا ينقسم لا يتحرك . وأيضاً فلا يمكّن ذو الهيولى الهيولى إلا على ذلك النحو بأن يحرّك قوة أخرى هي هيولى له . وهذه الأنواع من الهيولى ليست الهيولى الأولى بل هي متباينة لها ، كما تبين ذلك قبل ، بل يقال على كل واحد منها هيولى باشتراك . فهذه هي القوة المتخيلة .

والخيال يقال بتقديم منه [٦] وتأخير ، وهو يقال بالجملة على محاكي الشيء . فإذا قيل بتقديم قيل على ما يحاكي شخصها شخصاً من أشخاص المشار اليه . وقد يقال على ما يحاكي النوع ، وقد يقال على شخص النوع من جهة ما يحاكي ذلك

---

(١) راجع ارسطو : De Somniis. 3. 462 a 10 — 14 ؛ وابن سينا ، الشفاء ، ورقة ١٨٣ ب : ولهذا ما يرى الانسان المجنون والخائف والضعيف والنائم أشباحاً قائمة كما تراها في حال السلامة بالحقيقة ويسمع أصواتاً كذلك .

(٢) المخطوطة : الثامنة .

(٣) قارن أرسطو : De Somniis. 2. 460 b 5 — 25 .

(٤) أيضاً : Arist. 2. 459 a 25—27 .

(٥) المخطوطة : هيول .

(٦) المخطوطة : منها .

النوع [١] . ولذلك يسمي فلاطن المحسوسات خيالاً . وقد يقال على غير هذه الانحاء . وبيّن أن الاحساسات خيالات الجسمات ، فالقوة [٢] التي تدرك بها هذه الخيالات هي القوة التي بها تخيل . وهذه الخيالات متى لم تفعل في هذه القوة ولا حركتها لم يوجد الحيوان متحركاً بها ، وان الحيوان يتحرك حركات كثيرة من جهات كثيرة . فان الحيوان يسخن ويجف من جهة أنه من الاسطقسات من طريق أنه ذو كيف [٣] . (ورقة ١٦٢ ب) فبالقوة ينتقل من جهة أنه ذو أين فهو يستحيل بالقوة الانفعالية . وينفعل [٤] بالقوة المنفعلة ، ويبصر بالقوة الباصرة . فبعض هذه في الجسد كله مثل القوة الانفعالية ، وبعضها في عضو خاص مثل القوة السامعة . وكذلك أيضاً يتحرك بالقوة المتخيلة .

ولما كان كل متحرك فله [٥] محرك كانت هذه القوة محركها في الاحساسات الموجودة في الحس المشترك وتحرك هي . فأما الذي عنه يتخيل شيء بعد شيء في وقت بعد وقت فهو [٦] المحرك الأبعد ، وهل هو واحد أو أكثر من واحد فقد تلخص الأمر فيه في الثانية من كتاب الحس [٧] . فقد تبين ما القوة الخيالية ، وما التخيل في الجملة .

---

(١) قارن زيلر (Zeller) : فلاطـون (Plato) ، ترجمة الين و گدوين (Alleyne and Goodwin) ص ٢٣٩ ؛ والجمهورية : Republic X. 596 A/ Ritter. II. 306; 303 A 3

(٢) المخطوطة : بالقوة .

(٣) قارن أرسطو : (qualitative Change) De Somniis. 2. 459 b 1—5 .

(٤) المخطوطة : سعل .

(٥) المخطوطة : فانه .

(٦) المخطوطة : وهو .

(٧) قارن أرسطو : Arist. 3. 461 b 16 —24 (The residuary movements are like these)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والخيالات وهي كال هذه القوة هي في هذه القوة نظير للاحساسات في الحس المشترك ، وبيّن أن صور الموجودات ـ اذا كانت خيالات ـ أشدّ تبرّيا [1] عن المادة من الإحساسات ، وإن القوة المتخيلة نسبتها إلى القوة الحاسة هذه النسبة إلاّ أنها غير متبرية جملةً عن الصور الهيولانية من جهة ما هي هيولانية . ولكنها بعيدة في الرتبة عنها . لأن هذه قد تفعل وإن لم تكن تلك حاضرة موجودة ، لكنها في وجودها مفتقرة إلى تلك ضرورة . فإن كان خيال يوجد عن غير تلك فذلك من غير جنس هذه ، وقد تلخص كيف الأمر فيها في مواضع .

والقوة المتخيلة لا تحرك حتى تحرّكها الإحساسات [2] ، ومتى لم يكن إحساس لم تحرك هذه القوة ، وإذا لم يوجد ذلك الإحساس لم تفعل فيها ، فلذلك يعرض لها ـ إن قيل فيها لا ينقسم ـ إنتقال [3] من شيء إلى شيء . فأما كيف ذلك فقد تلخص في الثانية من الحس . فلذلك متى شغل الحس المشترك ، أو أنزلناه بطل ، لم تفعله القوة المتخيلة وكانت قوة فقط . على ما يظن أنه يوجد ذلك عندما يحس بالأشياء الهائلة في [4] المشاء [5] . فلذلك عدّت القوة المتخيلة في جملة القوى الهيولانية . ولذلك صار فعلها في النوم [6] أظهر فإن النوم هو وجود الحس المشترك بالقوة فقط . وهو عند ذلك حافظ للوجودية الحاضرية ، فهو غير متحرك ، فهو محرّك فقط والقوة المتخيلة متحركة عنه فقط .

---

(١) قارن أرسطو : Arist. : De An. III. 4. 430 a 7 .

(٢) أيضاً : Arist. : De Memoria. I. 450 a 11 - 14 .

(٣) أيضاً : I. 451 a 8 .

(٤) المخطوطة : وفي .

(٥) قارن أرسطو : De Somniis. 3. 462 a 13 — 14 .

(٦) أيضاً : De Somniis et Vigilia, 3. 456 b 10 — 16 ; 457 a q. See Note 17

وأما في اليقظة عندما يحس بالمحسوسات المفرطية [١] فيشبه أن يكون عند ذلك متحركاً فقط ، فعند ذلك إما أن يبطل أو [٢] تصير قوته فقط ولا يشعر بها تحركه ، وقد تلخص هذا في مواضع كثيرة . فلذلك إذا بطلت الحواس بطلت هي . واذا بطل الحس المشترك بطلت . فلذلك تفسد (ورقة ١٦٣ الف) بفساد الحس المشترك ، وتوجد موجودة وهي تابعة له على ما المتحرك [٣] تابع للمحرك [٤] في الحال التي بها يُحرِّك . لكنها في وجودها أشرف لأنها كالغاية له .

وعن هذه القوة يتحرك الحيوان حركات مختلفة ، وبها يتحرك الجزء النزوعي [٥] ، وبها يوجد الحيوان كثيراً من الصنائع وبها يرى الحيوان أولاده كالنمل [٦] والنحل [٧] ، وهي أشرف قوة في الحيوان غير الناطق ، ولا يوجد في الحيوان <غير> الناطق قوة أكمل من هذه القوة . فان القوى المحركة للحيوان

(١) قارن ارسطو : De An. III. 4. 429 a 31 – b 4 ; De Somnis ; 2. 459 b 10 – 22 ابن رشد : الأهواني ، ص ١٥٤ س ١٧ – ٢٢ .

(٢) المخطوطة : و .

(٣) المخطوطة : المحرك .

(٤) المخطوطة : المتحرك .

(٥) قارن ارسطو : De An. III. 10. 433 a 20 .

(٦) المخطوطة : ويكون كالنمل .

(٧) قارن ارسطو : De An. III. 429 a 5 ; ابن سينا : الشفا ، ورقة ١٩١ الف ٢٥ : والحيوانات الأخرى وخصوصاً الطير صناعات ايضاً فانها تصنع بيوتاً ومساكن لا سيما النحل لكن ذلك ليس مما يصدر عن استنباط وقياس بل عن إلهام وتسخير ولذلك ليس مما يختلف ويتنوع واكثرها لصلاح انواعها وللضرورة النوعية وليست للضرورة الشخصية .
وايضاً ورقة ١٩١ ب ٥ : وربما وقع هذا العارض في الجبلة ومن الإلهام الإلهي كحب كل حيوان ولده من غير اعتقاد البتة بل على نوع تخيل بعض الإنسان لشيء نافع او لذيذ ونفرته عنه .... ; وابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ٧١ .

بالطبع التي هي فيه هي القوة الغاذية والحساسة وعن هذه كلها يوجد الحيوان الأفعال التي يقال لها أنها من ذاته ، لأن المحرك والمتحرك معا فيه ، وقد تلخص كيف ذلك في ثامنة السماع [1] .

فبيّن أن القوة المتخيلة كمال لجسم طبيعي آلي ، فهي اذاً [2] نفس . وبيّن مما قلنا أنه لا يمكن أن توجد قوة أخرى غير هاتين أعني الحس المشترك والقوة الخيالية . وذلك أن الموجودات هي إما هيولانية وإما منتزعة . والهيولانية هي في [جسم] مشار اليه . والانتزاع حركة ، وكل حركة تغير أو تابع لتغير [3] . والانتزاع تابع لتغير ، والتابع إما أولاً وإما ثانياً . فالأول هو الإحساس ، كما تبين قبل ، والثاني هو هذا ، وإن كان هناك ثالث لزم ضرورة أن تكون في الموضوع حال ينفصل بها الثاني من الثالث اذا كانا معاً من جنس واحد وإلا فبماذا يكون الثاني غير الثالث .

وهناك تحريك الموجود في الهيولى ، وهنا التحريك وهو ليس في هيولى أنواع ، والثواني معادة للأنواع ما لا في هيولى ، لكن ما لا في هيولى يقال على أنحاء : إما أن لا يمكن أن يكون في هيولى أن يبرهن وجود شيء بهذه الصفة ، أو ما يمكن أن يكون له هيولى لكنه مأخوذ بالحال التي هو مباين للهيولى وهو بها ما هو بأن يكون مأخوذاً بالوجود الذي يخصه ـ وهذا هو النطق على ما سنبين ـ أو ما هو في هيولى ، غير أنه مأخوذ من جهة ما هو . وهذا لجواز إما أن يكون يمكن فيه المفارقة ، وهذا هو الحس ، أو ما قد فارق ، غير أنه مأخوذ بالحال التي هو بها في هيولى ـ فهذه هي القوة المتخيلة الخيالية . ولذلك كانت

(١) قارن ارسطو : Phys. VIII. 256 a 02 .

(٢) المخطوطة : ذا .

(٣) قارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ٧٤ . وقد استعمل « قريب » و « بعيد » في موضع « اول » و « ثاني » .

القوة الخيالية تدرك الاشخاص[1] فقط ، فلأن الصور الهيولانية إنما حركت هذه القوى بالقوة التي فيها ، وهي التي تقدم تلخيصها قبل هذا[2] . فصارت الاحساسات موجودة وكان لها قوة تحرك بها ، فحركت القوة الخيالية فصارت الخيالات موجودة . وهذه كلها عن غير الصور الهيولانية وهي هيولانية[3] . ولم يمكن (ورقة ١٦٣ ب) فيها أن تحرك القوة المدركة الأمر الكلي[4] حتى تحرك هذه الهيولانية المشار اليها ما يحركه جميع المشار اليه فتكون تحركها غير متناهية ، لأن التحريك عن وجود ، والوجود يقترن به التناهي . والمتحرك عن الهيولى وعن التناهي هو هيولى من جهة ما هي هيولى . وإنما يحرك الموجود المفارق تحريكاً غير متناه من جهة أنه لا يتحرك . وليس هناك ضد فليس هناك مفارقة . وإن كانت الهيولى قابلة أبداً فهو محرك أبداً لأنه لو لم يحرك لكان متحركاً ، وكل متحرك فهو منقسم وكل منقسم فهو هيولاني . ولذلك تدرك القوة المتخيلة الصور الهيولانية من أحوالها التي تخصها في الوقت الذي تدركها فيه ولا تدرك منها ما لا يخصها في وقت الإدراك . ولا يمكن أن تدركها بجميع أحوالها التي تلحق الصورة محركة عن الأعراض المفارقة لها . ولذلك تدرك جميع لواحقها الذاتية وغير الذاتية كشيء واحد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لكن قد يسأل سائل فيقول : كيف يتخيل الشيء الواحد بأحوال مختلفة

---

(١) إدراك الشخص هو إدراك المعنى في هيولى ، انظر ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، ص ٦٧ ، حيدراباد ، ص ٦٢ .

(٢) راجع النص نفسه : آخر الورقة ١٥٤ الف .

(٣) قارن أرسطو : De An. III. 7. 431 a 14 — 19 .

(٤) إدراك الكلي هو ادراك المعنى العام مجرداً من الهيولى ، والحس والتخيل إنما يدركان المعاني في هيولى . انظر ابن رشد : ٦٧ ، حيدراباد ص ٦٣ .

بعضها أدركت وبعضها لم تدرك فيه بل بعضها ممكنة فيه وبعضها غير ممكن . إلاّ أن ذلك في الإنسان فقط . فإنه الذي يركب ويفصل [١] . وهذه الحركة هي من قبل أسباب أخر وقد عددت في الثانية من كتاب أرسطو في الحس [٢] .

ولو كانت الخيالية تدرك المعنى وتدرك ما له أمكن أن يدرك فلا يمكن [٣] ذلك في العقل النظري . وأما في الظن فهو لشيء [٤] ممكن ، إلا أن الظن وقوته سنبين . إذاً بيّن ما القوة الناطقة . فأما في العلم فهو فعل القوة الناطقة ، فلا يمكن ذلك فيه البتة وسنبين لمَ كان ذلك بعد هذا .

فالقوة الخيالية كالجزور بين الموجودات التي من شأنها أن تفارق الهيولى وبين الهيولانية قد أخذت من كل بقسط على ما من شأن الطبيعة أن تفعل دائماً ، فإنها لا تنتقل من جنس إلى جنس دون متوسط وقد لخص ذلك في مواضع كثيرة . وهذا آخر ما يحركه المحسوس المشار إليه .

ولما كان كل متحرك فهو مجانس للمحرك على ما تلخص في غير هذا الموضع ، وكان الخيال شخصاً ولم يكن كليا . فإن الكلي هو الطرف المقابل للشخص . وليست هاتان القوتان أوساطاً على ما هي الأوساط في الحرارة والبرودة حتى توجدان [٥] في الحس . والخيال جزء من الكلية كما يوجد ذلك فيما بين الحرارة والبرودة وإن الوسط فيه حر وبرد . فإنه ليس في الإحساس ولا في الخيال

---

(١) قارن أرسطو : De An. III. 6. 430 b 5 ؛ وابن سينا ، الشفا ، ورقة ١٨٣ الف : وان الحس المشترك يؤدي الى القوة المصورة على سبيل استخزان ما يؤدّي اليها الحواس لتخزنه وقد تخزن القوة المصورة ايضاً اشياء ليست من المأخوذات عن الحس . فإن القوة المفكرة قد تتصرف ...... بالتركيب والتحليل ...... ، وابن رشد : ص ٣٠٦٨ ، حيدراباد ص ٧٠٦٢ .

(٢) قارن أرسطو : De Somniis, 2. 459 a 23 sq. .

(٣) المخطوطة : يدرك ما لا على .

(٤) المخطوطة : لسا .

(٥) المخطوطة : يوجد .

شيء من الكلي ، بل توجد لها[1] أحوال يكون بها بعضها أقرب إليه من بعض . وتلك الأحوال في الخيالات أكثر وأحرى بها[2] ، وأظهر منها[3] في الإحساسات . فإن الشخص ليس بضاد للكلي (ورقة ١٦٤ الف) بل هو غيره بوجه ما ، وقد لخص أمره[4] أرسطو فيما بعد الطبيعة[5] .

وأما وجود الكلي فهو ضرورة عن أسباب أخر ، ولا يخلو < من > أن يكون الكلي كاينًا أو غير كاين . فإن كان كاينًا فهناك هيولى أو قوة تجري مجرى الهيولى ، وإن كان غير كائن حتى يكون التعلم تذكرًا فقد يلزم إما أن يكون للصور على ما يراه فلاطن وهي التي نصّها سقراط في كتاب فاذن[6] ، فيكون للعقل حسًا أو مجانسًا له ، وإما للعقل قبل أن يعقل فيكون التعلم تذكرًا .

وإذا نظر في الكلي ، وجدت له أحوال يلزم عنها أن يكون أزليا ، وأحوال يلزم عنها ضرورة أن يكون متكونا . وبالجملة فإن اللواحق الموجودة له توجد فيه على حال مقابلة لوجودها في الصور الهيولانية . وكيف كان وجودها في الصور الهيولانية ، وكيف كان ، فإن وجودها مباين للوجود الهيولاني مباينة ظاهرة جدا . وأحراها أن تكون موجودة بنحو آخر من الوجود حتى يقال عليها وعلى الهيولانية الموجودة باشتراك ، وأخلق أن يكون الموجود يقال عليها بتقديم ، وإن كان أحرى بالوجود .

(يتبع) محمد صغير حسن المعصومي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) المخطوطة : لما .
(٢) قارن أرسطو : De An. iii. 8. 432 a 3 — 10 .
(٣) المخطوطة : عنها ، وبالهامش : منها .
(٤) المخطوطة : امرها .
(٥) قارن أرسطو : Met. Z. VII. 1035 b 29 .
(٦) Arist. Met. A. i. 991 b 3 .

قبور العظماء في دمشق

مقدمة

درجت جميع أمم الأرض منذ الأزمنة القديمة على تمجيد عظمائها وأبطالها وتخليد ذكراهم بعد موتهم ، حتى بلغ الأمر عند بعض الأمم درجة تقديسهم وعبادتهم .

واليوم تحرص جميع البلدان الراقية على اقامة مقابر خاصة بالعظماء الذين أخلصوا لبلادهم وضحوا في سبيلها بأرواحهم أو سخروا سيوفهم وأقلامهم في سبيل خدمة أمتهم والرفع من شأنها .

ان تخليد ذكرى هؤلاء العظماء يقيم الدليل أمام المواطنين على أن الأمة لا تنسى أبناءها المخلصين العاملين ، وتحفز المواطنين كي يقتدوا بهم ويسيروا على نهجهم . ولا تخلو أمة من أمثال هؤلاء العظماء الذين يجود بهم الزمان من حين لآخر .

وقد عرفت دمشق كثيراً من الشخصيات التاريخية وضم ثراها رفاة عظماء وشهداء أقيمت لبعضهم المدافن اللائقة التي تخلد ذكراهم وأهمل البعض الآخر فاندثرت قبورهم . وشاب بعض هذه الأضرحة مزاعم خاطئة ونسبت لأشخاص دون أساس صحيح ، وقد رأيت من المفيد في هذا الظرف الذي تهتم فيه الدولة باقامة النصب التذكارية والأضرحة لعظماء البلاد أن ألفت الأنظار الى مجموعة من العظماء المدفونين حقاً في دمشق خلال عصور التاريخ . مصنفاً اياهم الى الطبقات التالية :

١ – طبقة الملوك والسلاطين ٠

٢ – طبقة الأمراء والولاة ٠

٣ – طبقة الصحابة ٠

٤ – طبقة آل البيت ٠

٥ – طبقة العلماء ٠

ذلك ان في التاريخ عهوداً مضيئة تحفل بالأمجاد ومشاهير الرجال وأخرى مظلمة يختفي فيها العظماء ، وما أكثر العهود المظلمة التي عاشتها دمشق وأقساها ، حين كانت فريسة الفوضى والفتن أو طعمة للغزاة أو نهبا للحكام الظالمين ، في عهد الفاطميين وأغلب عهد المماليك ثم في أيام الحكم العثماني والاستعمار الغربي ٠

وخلال تلك العصور كلها فترات ثلاث تألق فيها نجم دمشق وغدت مركز اشعاع لسائر العالم العربي والاسلامي بما نالته من نهضة وعزة وحياة حرة كريمة على يد رجالاتها ٠

وتكاد هذه الفترات الثلاث تتوزع توزيعاً عادلاً بين القرون الثلاثة عشر من تاريخها العربي ٠

كانت الفترة الأولى في فجر هـذا التاريخ أيام الدولة الأموية ٠ وكانت الثانية في أواسطه ، أيام نور الدين وصلاح الدين ٠ والفترة الأخيرة هي في هذا العصر الذي نعيشه فترة الثورة على الأجنبي الدخيل والكفاح من أجل الاستقلال والحرية واقامة أسس الوحدة العربية ٠

* * *

أ — طبقة الملوك والسلاطين

١ ـ معاوية بن أبي سفيان :

مؤسس الدولة العربية في الشام وأحد صحابة الرسول (ﷺ) وكتبة الوحي، اشترك في الفتوحات مع أخيه يزيد بن أبي سفيان وأبلى بلاء حسناً، ينسب اليه فتح قيسارية أكبر مدن فلسطين عام ١٨ أو ١٩ وولاه عمر الشام بعد وفاة أخيه يزيد عام ١٨ وظل في ولايته لها حتى أصبح خليفة المسلمين بعد معركة صفين عام ٤٨ للهجرة حتى توفاه الله في دمشق سنة ٦١ هـ وكان قد بلغ من العمر ستاً وثمانين سنة .

أما قبره فقد اختلف الناس فيه فبعضهم يقول بأنه ضاع وزال أثره إثر الانقلاب العباسي وانتقام بني العباس من الأمويين أحياء وأمواتاً . وينسب العامة اليوم لمعاوية ثلاثة قبور في دمشق، إلا أن الثابت في المصادر العلمية والروايات التاريخية أن معاوية دفن في مقبرة الباب الصغير [1] .

ويشاهد اليوم قبره ضمن غرفة صغيرة من الطين حديثة البناء تقع في ركن المقبرة الجنوبي، تلتصق بها قبور كثيرة بينها عدد قديم لمشاهير الرجال تدل عليها شواهد كتبت بخطوط كوفية .

وإذا صح ما ترويه المصادر عن نبش قبور بني أمية، فليس ما يمنع أن يحتفظ الناس بمكان قبر معاوية اكراماً لمنزلته، حتى أتى وقت خف فيه حقد العباسيين وقل نفوذهم في دمشق فأصبح من المتيسر إعادة قبره الى ما كان عليه وأقبلوا يخصونه بالزيارة والتبرك . ثم قدم أحمد بن طولون دمشق عام ٢٧٠ هـ فعمر

(١) راجع التحقيق الذي نشره الأستاذ الأمير جعفر الحسني في مجلة المجمع المجلد ١٩ (١٩٤٤) ص ٤٣٤

على قبره قبة عالية ، وزاره بعد ذلك المسعودي عام ٣٣٢ فقال « ان عليه بيتاً مبنياً يفتح كل يوم اثنين وخميس» • وهذا يدل دلالة أكيدة على احتفاظ الناس بقبر معاوية وعلو منزلته في قلوبهم رغم ما قام به العباسيون • ولعل هذا البيت الذي بناه ابن طولون ووصفه لنا المسعودي قد تهدم خلال أحداث التاريخ وتقلبات الدول ، ولكن في كل عصر كان قوم يحرصون على الابقاء عليه والإشارة اليه حتى بقي الى يومنا هذا على هيئته المتواضعة البسيطة • وقد ظهرت محاولات حديثة من قبل الغيورين لبناء ضريح عليه يليق بمكانة صاحبه وعظمته وفضله في إرساء قواعد الدولة العربية في بلاد الشام خاصة وفي العالم الإسلامي عامة •

٢ ــ الخلفاء الأمويون :

تولى الخلافة من البيت الأموي أربعة عشر أميراً مات بعضهم في دمشق ومات البعض الآخر في أماكن متفرقة فعمر بن عبد العزيز دفن في دير سمعان وهشام في الرصافة وسليمان في مرج دابق • • • وتذكر الروايات التاريخية عن ابن عساكر والمسعودي أن قبر عبد الملك في مقبرة الباب الصغير وكذلك قبر ابنه الوليد ويزيد بن معاوية • غير انا اذا فتشنا اليوم في هذه المقبرة لا نجد من الأمويين غير قبر معاوية الذي تكلمنا عنه وقبر عبد الملك الواقع على عدة أمتار الى الشمال الغربي من قبر معاوية في غرفة مهدمة من الطين تضم قبرين نسب أحدهما لعمر بن عبد العزيز ونسب الآخر الى عبد الملك • ونحن ننفي نسبة الأول الى عمر بعد أن أكدت الروايات دفنه في دير سمعان قرب حلب • ونرجح أن يكون لأحد خلفاء بني أمية ، ولعله الوليد الذي تذكر الروايات دفنه في هذه المقبرة والأمر يتطلب تحقيقاً أكثر دقة • أما القبر الثاني فيرجح أن يكون لعبد الملك بدليل اشارة المصادر التاريخية الى وجوده في هذه المقبرة ووجود كتابة كوفية على التابوت الحجري يرجع الى عدة قرون ، تؤيد ذلك •

وأي حرج في اعتباره قبره حقيقة والعناية به تخليداً لذكراه بالرغم من احتمال وجود خطأ في تحديد مكان دفنه على وجه الدقة ، لأن تخليد ذكرى العظماء ببناء المقابر اللائقة بهم لن يكون من أجل ما تبقى من عظامهم ورفاتهم البالية بل من أجل أمجادهم وأعمالهم العظيمة .

٣ ــ محمود بن زنكي :

لم تعد دمشق مقراً للخلفاء والسلاطين بعد زوال الدولة الأموية حتى دخلها نور الدين في القرن السادس الهجري ، فهو أول من تسلطن فيها بعد تلك الحقبة الطويلة ولقب بالسلطان الملك العادل نور الدين ، محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر .

وكان تابعاً لخليفة بغداد العباسي من الناحية الاسمية فقط . وكان حاكماً عادلاً مخلصاً لأمته وبلاده وقائداً بطلاً نذر نفسه للجهاد والدفاع عن البلاد من أخطار الصليبيين وعدوانهم ، ولذلك أحبه الناس وأشاد المؤرخون الذين عاصروه بأخلاقه ودينه وعدله وتواضعه وجهاده وحبه للعلم والعلماء وبناء المدارس والحصون .

ولد نور الدين محمود عام ٥١١ هـ بمدينة حلب حيث كان أبوه والياً عليها من قبل سلاجقة بغداد ثم خلف أباه عليها سنة ٥٤١ ثم ضم دمشق وسائر بلاد الشام الى مملكته عام ٥٤٩ وتوفي في قلعة دمشق سنة ٥٦٩ فدفن في تربة كائنة في ركن من أركان المدرسة النورية التي بناها في سوق الخياطين . ويبدو قبره لكل من يمر من هذا السوق من خلال نافذتين في تربة جميلة عالية القبة بسيطة المظهر ، ومن المستغرب أن ينسى الناس هذا الرجل العظيم ولا يحتفون به كما يحتفون بصلاح الدين ، مع أن نور الدين أستاذه ومؤسس دولته وواضع حجر الأساس في تحرير البلاد وتوحيدها .

٤ ـ يوسف بن أيوب :

هو صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب بن شادي الملقب بالسلطان الملك الناصر ، ولد بتكريت عام ٥٣٢ ودخل في خدمة نور الدين محمود بن زنكي مع والده فبعثه مع عمه القائد أسد الدين شيركوه لتحرير مصر عام ٥٦٤ . فصار وزيراً للخليفة الفاطمي العاضد ثم انفرد بحكم مصر وقضى على الخلافة الفاطمية عام ٥٦٦ ثم ضم الشام الى حكمه بعد وفاة نور الدين وبذلك وحد مصر والشام وأقام دولة تمتد الى ما وراء الجزيرة شمالاً والى البحر الهندي جنوباً وتونس غرباً والعراق شرقاً . وقضى حياته في محاربة الفرنج وتحرير البلاد من أيديهم الى أن توفي في قلعة دمشق عام ٥٨٩ فدفن بها ثلاث سنين ثم نقل الى حيث هو اليوم في تربة بناها له أولاده بعد موته وبنوا الى جوارها مدرسة سميت بالمدرسة العزيزية وقد تهدمت وبقيت التربة ذات القبة العالية وأحيطت في كل العصور بالعناية والرعاية فزينت جدرانها بألواح القاشاني عام ١٠٣٧ هـ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وضع لقبره ضريح عند وفاته من خشب الجوز مزين بالنقوش الهندسية المحفورة تحيط به آية الكرسي بخط كوفي مزهر جميل ، كما صنع له تابوت جديد من الرخام عام ١٨٧٨ م في عهد السلطان عبد الحميد العثماني ، وقد فرشت دائرة الأوقاف أرضه بالسجاد وعينت له قيماً خاصاً به .

٥ ـ محمد أبو بكر بن أيوب :

هو الملك العادل سيف الدين محمد أبو بكر بن أيوب ، من أكبر شخصيات الدولة الأيوبية بعد أخيه صلاح الدين . اشترك معه في محاربة الفرنج وادارة البلاد . وكان المستشار والعضد الأيمن لأخيه ، ثم تولى السلطنة على دولة العرب في مصر والشام واليمن سنة ٥٩٦ يعاونه أولاده عندما دب الخلاف بين أولاد

صلاح الدين ، ولم يبق بأيديهم سوى حلب . ثم توفي سنة ٦١٥ في قلعة دمشق فدفن فيها ريثما تم بناء تربته في المدرسة العادلية مقر المجمع العلمي اليوم . ودفن معه بعد ذلك ابن حفيده المغيث عمر سنة ٦٤٢ وكان نائباً لأبيه الصالح أيوب على دمشق حين استولى عليها عمه الصالح اسماعيل فأسر في القلعة ومات فيها .

٦ ــ الملوك الأيوبيون الأخر :

لم يمت في دمشق من أولاد صلاح الدين سوى الملك المنصور حسن الذي توفي في حياة أبيه سنة ٥٧٥ وقبره معروف في التربة النجمية الكائنة في سوق صاروجة غربي المدرسة الشامية . وفي دمشق من أولاد أخيه العادل ثلاثة ملوك ، المعظم والأشرف والكامل .

أما المعظم فهو عيسى بن العادل ولد في القاهرة سنة ٥٧٦ وتولى دمشق لأبيه وحارب الفرنج ثم خلف أباه في السلطنة ومات في قلعة دمشق سنة ٦٢٤ ودفن بها ثم نقل الى مدرسة له تعرف بالمعظمية في الصالحية ، وقد تهدمت ودرست .

وأما الكامل فهو محمد بن الملك العادل تولى مصر في عهد أبيه ثم تسلطن بها ودخل دمشق وضمها الى ملكه ومات بها سنة ٦٣٥ ودفن في القلعة ثم نقل الى تربة أعدت له خلف جدار الجامع الأموي الشمالي شرقي خانقاه السميساطية تعرف بالتربة الكاملية ولها باب من الجامع يؤدي اليها .

وأما الأشرف موسى بن الملك العادل فقد تسلطن في دمشق أيضاً سنة ٦٢٥ ومات في قلعتها سنة ٦٣٥ ودفن بتربة تعرف بالأشرفية كائنة شمالي الجامع الأموي بين المدرسة الجقمقية والمدرسة العزيزية وقد تهدمت وأصبح في مكانها اليوم ملجأ ضد الغارات الجوية ولا يزال القبر ظاهراً .

ARCHIVE

٧ ـ السلطان بيبرس :

هو السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري أشهر سلاطين دولة المماليك وأول من وطد حكمهم في الشام بعد زوال دولة بني أيوب بدخول جيش هولاكو دمشق ، كان له فضل في النصر على التتار في معركة عين جالوت التي أدت الى طردهم من الشام وتوحيدها مع مصر من جديد . تولى السلطنة عام ٦٥٨ بعد مقتل سلفه السلطان قطز . فقضى أكثر أيامه في محاربة الفرنج وتخليص ما تبقى من البلاد من أيديهم فحفلت أيامه بالانتصارات عليهم وخلد اسمه على أكثر من حصن وقلعة ومدينة . وقام بأعمال عمرانية كثيرة وتوفي سنة ٦٧٦ في القصر الأبلق الذي كان يقطنه في دمشق حيث تقع التكية السليمانية اليوم ودفن في المدرسة الظاهرية وتربته من أجمل الترب ذات قبة عالية مزينة بأصناف الزخرفة كالفسيفساء الزجاجية الملونة الشبيهة بفسيفساء الجامع الأموي والرخام الملون والكتابات المذهبة وزخارف محفورة على الحجر ، وفيها محراب رائع ، وتعد أجمل تربة في دمشق وأغناها بالزخارف .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٨ ـ السلطان العادل كتبغا :

لم تعرف دمشق بعد السلطان الظاهر سلطاناً أقام أو مات فيها فقد استقر المماليك في القاهرة ولم يقيموا في دمشق إلا أياماً أو يزوروها إلا لماماً ، وكذلك سلاطين آل عثمان . سوى أن في المهاجرين مدرسة وتربة منسوبة الى أحد سلاطين المماليك ، هو الملك العادل زين الدين كتبغا تسلطن في القاهرة سنتين ثم خلع عام ٦٩٦ فالتجأ الى صرخد (صلخد) ثم أعطي حماة فمات بها ونقل ليدفن بتربته بسفح قاسيون الكائنة في الحديقة التي تضم ضريح الشهيد المالكي .

ب — طبقة الأمراء والولاة

كثيرون هم القواد والولاة الذين ماتوا في دمشق ودفنوا في ثراها منذ بداية العهد العربي الى اليوم . وكان لأكثرهم بطولات وأعمال جليلة يستحقون معها أن تحفظ الأجيال ذكراهم ، إلا أننا مع ذلك لا نعرف قبراً واحداً لمن عاش منهم قبل العصر الأيوبي ، ولعل السبب في ذلك عدم اعارة الأوائل أهمية للقبور والمدافن كما حدث في العصور المتأخرة . وقد رأينا كيف تعرفنا بصعوبة زائدة على قبور قليل جداً من خلفاء بني أمية أنفسهم .

لذا لن يكون أمامنا من وفيات هذه الطبقة من نتحدث عنه قبل زمن الأيوبيين الملئ برجالات الدولة من قواد أبطال وولاة وأمراء . ولا غرابة في ذلك لأن زمنهم يعد الفترة المضيئة الثانية في تاريخ دمشق بعد الفترة الأموية كما ذكرنا في المقدمة .

١ — شاهنشاه بن أيوب : أخو صلاح الدين حارب مع نور الدين محمود بن زنكي واستشهد في احدى المعارك ضد الفرنج عام ٥٤٣ هـ ودفن في تربة أيوبية تعرف اليوم بالتربة النجمية الكائنة في سوق صاروجة الى القرب من المدرسة الشامية .

٢ — توران شاه بن أيوب : أخو صلاح الدين وأكبر قواده فتح اليمن وولي دمشق لصلاح الدين عام ٥٧١ . توفي في الاسكندرية والياً عليها سنة ٥٧٦ فنقل جثمانه ليدفن في تربة أخيه الكائنة في المدرسة الشامية سنة ٥٧٨ .

٣ — فروخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب : ابن أخي صلاح الدين صار والياً على دمشق سنة ٥٧٦ وكان من كبار القواد والمجاهدين حارب الفرنج وأبلى بلاءً حسناً في موقعة مرج عيون وكان الى شجاعته عالماً كثير الأدب مطبوع النظم

والنثر وله أشعار كثيرة . لقب بعز الدين مات سنة ٥٧٨ والياً على دمشق فدفن في تربة تعرف بالفرخشاهية كائنة شمالي حديقة المنشية .

٤ – الملك الأمجد بهرام شاه بن فروخ شاه : ولاه صلاح الدين بعلبك بعد موت أبيه وكان شاعراً . اغتيل في دمشق ودفن في المدرسة الأمجدية المجاورة لتربة أبيه الفرخشاهية المتقدمة الذكر .

٥ – الأمير ناصر الدين محمد بن شيركوه : زوج ست الشام أخت صلاح الدين توفي سنة ٥٨١ والياً على حمص لصلاح الدين فدفنته زوجته في تربتها الكائنة في المدرسة الشامية في دمشق .

٦ – الأمير عز الدين ايبك : كان والياً على صرخد مدة طويلة توفي في الاسكندرية ونقل جثمانه ليدفن في مدرسته المعروفة بالعزية قرب مدرسة التجهيز الأولى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٧ – الأمير حسام الدين محمد بن عمر (ابن ست الشام) : توفي سنة ٥٨٧ ودفن في تربة أمه الشامية البرانية المتقدمة الذكر . وهي تربة واسعة مزينة بزخارف ذات طابع أيوبي تضم عدة قبور للأمراء الأيوبيين وبينهم قبر ست الشام صاحبة التربة والمدرسة .

٨ – الأمير فخر الدين سركس أو جهاركس : أحد قواد الجيش الأيوبي كان نائباً على بانياس وتوفي سنة ٦٠٨ ودفن في تربته في المدرسة الجهاركسية الكائنة في العفيف .

٩ – الأمير فخر الدين ابراهيم بن الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك ابن المقدم توفي سنة ٥٩٧ وكان والياً على قلعة بارين وعدة حصون توفي بدمشق ودفن بالمدرسة المقدمية خارج باب الفراديس في طريق مقبرة الدحداح ويطلق العامة على ضريحه خطأً ضريح طلحة .

١٠ — الأمير غورلو : تولى نيابة السلطنة في دمشق عام ٦٩٥ هـ في عهد سلطان المماليك العادل كتبغا وتوفي سنة ٧١٩ ودفن في دمشق في تربة لا تزال باقية الى اليوم الى جانب جامع الحنابلة ·

١١ — الأمير تنكز : تولى نيابة السلطنة في دمشق من عام ٧١٢ الى ٧٤٠ حيث اعتقل وأخذ الى الاسكندرية فقتل ثم نقل الى تربته التي شيدها الى جوار جامعه المشهور في دمشق ·

١٢ — سيف الدين جقمق : تولى نيابة دمشق سنة ٨٢٢ وقتل في القلعة عام ٨٢٤ ودفن بتربته في المدرسة الجقمقية الى جوار باب الجامع الأموي الشمالي وهي من أجمل مدارس العصر المملوكي بهندستها وزخرفتها ·

١٣ — درويش باشا : ولي دمشق في عهد السلطنة العثمانية عام ٩٧٩ هـ وكانت سيرته حسنة وقام بأعمال عمرانية كثيرة منها جامع الدرويشية الذي بناه سنة ٩٨٢ · توفي عام ٩٨٥ ودفن بتربته التي عمرها الى جوار جامعه ·

١٤ — مراد باشا : تولى دمشق سنة ٩٧٦ فعمر الجامع المعروف حالياً باسم جامع النقشبندي في السويقة وتوفي في دمشق ودفن بتربته الى جوار الجامع المذكور ·

م — طبقة الصحابة

يتناقل العامة ذكر عدد كبير من الصحابة ماتوا في دمشق أو استشهدوا عند الفتح ويشيرون الى قبور ومزارات نسب أكثرها خطأ اليهم · وكذلك تفعل بعض كتب التاريخ الضعيفة ، وهذا مايجعل البحث عويصاً يحتاج الى كثير من المطالعة والدرس للوصول الى حقيقة مقبولة ، ولم يتأكد لدينا بعد الاستقصاء والتحقيق أكثر من قبرين لاثنين من الصحابة فقط ثبت موتهما في دمشق وتضافرت أكثر الروايات على تعيين مكان قبريهما وهما :

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ – بلال الحبشي : وهو بلال بن رباح من موالي قريش وأوائل الذين اعتنقوا الإسلام فعذبوا في سبيل الرسالة الجديدة . وهو أول من أذّن في الإسلام ثم خرج الى الشام مجاهداً بعد وفاة الرسول (ﷺ) فتوفي في دمشق ودفن في مقبرة الباب الصغير حوالى ١٧ أو ٢٠ للهجرة ، وما يزال قبره معروفاً الى اليوم تحت قبة عالية عمرت في العهد العثماني ، وله ضريح من الخشب حديث الصنعة ركب فوق قبره الترابي القديم . وتذكر كثير من الروايات خطأ وجود قبره في مدن أخرى .

٢ – أبو الدرداء : عويمر بن عامر الخزرجي الأنصاري ، كان من أفاضل الصحابة ، ولاه عمر بن الخطاب القضاء على دمشق في عهد ولاية معاوية فكان أول قاض فيها ، توفي في خلافة عثمان حوالى سنة ٣٢ للهجرة ودفن في مقبرة الباب الصغير وظل قبره معروفاً يذكره الرحالة الى جانب قبر زوجته أم الدرداء . وقد عثرت دائرة الآثار عام ١٩٣٨ على شاهدتين احداهما تخص قبره والأخرى قبر زوجته مكتوبتين بخط كوفي يرجع الى القرن الرابع أو الخامس عشر عليهما مردومتين على بعد عشرين متراً الى الجنوب الغربي من قبر معاوية ، وهما محفوظتان في المتحف الوطني . ولأبي الدرداء مشاهد ومزارات في أماكن أخرى منها مقامه الكائن في قلعة دمشق الذي ذكره المؤرخ ابن طولون في الشمعة المضيئة في القرن العاشر الهجري .

وهناك قبور أخرى لعدد من الصحابة نشك في صحة نسبتها الى أصحابها ، ولعل السبب في إشاعة ذلك وادعائه التبرك بأكثر عدد من الصحابة وجعل دمشق تتقدم على غيرها في هذا المضمار . ومن هؤلاء نذكر :

١ – صهيب الرومي : له قبر في الميدان يطلق عليه الناس اسم سيدي صهيب ، ويريدون به الصحابي صهيب الرومي . وقد أجمعت أكثر الروايات على وفاته في المدينة سنة ٣٩ هـ .

٢ — أبي بن كعب : مات في المدينة أيضاً وله قبر عند باب شرقي خارج السور . وقد بني عليه جامع يرجع الى عام ١٠٣٠ هـ .

٣ — شرحبيل بن حسنة : أحد أمراء جيش الفتح الذين قدموا الى الشام مع أبي عبيدة ، مات في طاعون عمواس مع أبي عبيدة بن الجراح عام ١٨ وعمواس قرية بين الرملة والقدس في فلسطين حيث دفن أبو عبيدة ، ولا تشير رواية ما الى مكان قبره وأول من ذكر أن قبره في دمشق صاحب كتاب تحفة الأنام أمين البصروي من القرن العاشر الهجري ، وضريحه وضريح خولة بنت الأزور التي هي أيضاً لم يتأكد وصولها الى دمشق موجودان ضمن تربة واحدة يحويها مسجد بني عام ٩٠٩ هـ خارج باب توما .

٤ — ضرار بن الأزور : أحد الأبطال الكبار في صدر الإسلام اشتهر بجهاده في حروب الردة تحت قيادة خالد بن الوليد وقتل في هذه الحروب في اليمامة كما يذكر بعض المؤرخين أو في أجنادين أو في الكوفة كما يذكر البعض الآخر . إلا أن العمري صاحب مسالك الأبصار المتوفى سنة ٧٤٩ يذكر بأنه قتل أثناء فتح دمشق ، خلافاً لما ذكره الواقدي ، ودفن في القبر المنسوب اليه .

٥ — الصحابة السبعة في جامع الأقصاب : في هذا الجامع غرفة كتب عليها بخط حديث هذا مدفن سبعة من أصحاب رسول الله حجر بن عدي الكندي ورفاقه ، والثابت أن حجراً وأصحابه قتلوا بأمر معاوية وهم قادمون من الكوفة عند قرية عذراء سنة ٥١ هـ وذكرت أكثر الروايات بأن قبورهم هناك في عذراء .

٦ — صحابة جامع الشهداء : في الصالحية مسجد صغير يعرف بالشهداء فيه قبور ثلاثة من الصحابة هم حرملة بن وائل وجابر بن مسعود ومساعد ، ولا نعتقد بوجود أساس لصحة هذا الادعاء .

د ـ طبقة آل البيت

إن أكثر قبور آل بيت الرسول (ﷺ) رغم شهرتها وفخامتها لا تمت اليهم بصلة، وهي قديمة في دمشق يذكرها الرحالة ويؤمها الزوار من كل مكان وخاصة الشيعة وأضرابهم. ولعل إقامة هذه المزارات يرجع الى عهد الحكم الفاطمي حيث اشتدت الدعوة لآل البيت والحماس لهم ولا غرابة لأن يتقبل الناس شيعة وغير شيعة مثل هذه البدع نظراً لمكانة الرسول العظيمة وكل ما يمت اليه بصلة، وأصحاب هذه القبور هم:

١ ــ سكينة بنت الحسين: توفيت في المدينة كما تذكر أكثر الروايات ولكن لها قبراً فخماً في مقبرة الباب الصغير عليه قبة فخمة مفروشة بالسجاد مزينة بمختلف الهدايا والزخارف والضريح قديم مصنوع من الخشب المحلى بالزخارف المحفورة المخرمة والكتابات الكوفية، ويرجح أنه صنع في العصر الفاطمي.

٢ ــ فاطمة بنت الحسين: لها قبر في مقبرة الباب الصغير أيضاً وعليه قبة وضريح من الحجر عليه اطار من الكتابات الكوفية المزهرة بخط عريض جاء فيها:

«هذا قبر فاطمة ابنة أحمد بن الحسين بن السبطي توفيت رضي الله عنها في رجب سنة ٤٣٩»، ومعنى ذلك بأن صاحبة القبر ليست بنت الحسين كما يظن عامة الناس وانما هي واحدة تدعى فاطمة ماتت في القرن الخامس ربما كانت من آل البيت اذا صحت نسبتها الى بيت علي بن أبي طالب، ومهما يكن فان قبرها محاط بالاحترام والتقدير من قبل طائفة الشيعة مما يظن معه بأنه حقاً قبر فاطمة بنت الحسين بن علي.

٣ ــ زينب الصغرى بنت علي: وتلقب بأم كلثوم لها قبران في دمشق الأول في قرية راوية المعروفة حالياً بالست الواقعة الى الجنوب الشرقي من دمشق على بعد عدة كيلومترات.

وهو مزار شهير محتفى به يؤمه الزوار من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ويقدمون عنده النذور وحوله الأبنية لنزول الغرباء وعليه قبة فخمة محلاة بالمرايا ضمن مسجد واسع ، وقد أهدته الحكومة الإيرانية حديثاً ضريحاً ثميناً من الفضة .

والقبر الآخر في مقبرة الباب الصغير في قبة خاصة به تضمه الى مقام الست سكينة . ورغم كل ذلك فنحن لا نعتقد بصحة نسبة هذين القبرين الى زينب بنت علي ابن أبي طالب لأن هذه ماتت في المدينة كما يقول المؤرخ عز الدين بن شداد . ويذكر صاحب كتاب أعلام النساء بأن قبرها بمصر عند قناطر السباع .

٤ — مشهد الحسين : كلنا يعلم بأن الحسين بن علي قتل وهو في طريقه الى الكوفة في معركة كربلاء سنة ٦١ ونقل رأسه الى دمشق لبراه الخليفة يزيد ابن معاوية . ويوجد للحسين مزارات كثيرة يطلق عليها اسم مشهد تشير الى قبره ، ولعل الأصح أن تعتبر نصباً تذكارية ، لأنه لا يعقل أن يدفن رأس الحسين أو جثته في عدة بلدان . له مشهد شهير في كربلاء حيث قتل يرجح أن يكون القبر الذي وارى جثته ، كما أن له مشهداً في جامع بني أمية في دمشق ، في مكان يطلق عليه اسم مشهد الحسين حالياً وقد أطلق عليه في القديم مشهد علي وكذلك مشهد زين العابدين (ابن الحسين) ، وله مشهد آخر في القاهرة . وتؤكد المصادر بأن رأس الحسين نقل الى دمشق ولكنها لا تشير الى مكان دفنه ، ثم تذكر بعض الروايات التاريخية حادثة نقل رأسه من دمشق الى المدينة في عهد يزيد وبعضها يذكر أنه نقل في العهد العباسي ، ويذكر البعض الآخر قصة نقله الى القاهرة في العهد الفاطمي .

٥ — الست رقية : في داخل باب الفراديس مسجد صغير فيه قبة يرجع عهد بنائها الى العصر الأيوبي تضم ضريحاً عليه قفص معدني جميل أهدي اليها من قبل الحكومة الباكستانية منذ سنوات ويظن الناس بأن هذا القبر لرقية بنت

الرسول . ولكن هذه ماتت في المدينة وقبرها هناك ، فنسبة هذا القبر لها خطأ ولعله لواحدة من سلالة علي يهتم بها الشيعة .

٦ – أم حبيبة : هي زوجة الرسول وأخت معاوية بن أبي سفيان لها قبر في مقبرة الباب الصغير عليه قبة صغيرة بنيت في عهد السلطان عبد الحميد العثماني . ولعل ما يجعلنا نقبل نسبة هذا القبر اليها ، ما ترويه المصادر من زيارة زوجة الرسول لأخيها معاوية في الشام ، وما ينقله ابن عساكر عن ابن الأكفاني خبر مشاهدة هذا الأخير قبرها فيما شاهد من قبور الصحابة والخلفاء في مقبرة الباب الصغير وذلك في القرن الخامس الهجري .

٥ – طبقة العلماء

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كثيرون هم العلماء الذين اشتهروا في دمشق خلال العصور كقضاة أو محدثين أو مؤرخين أو أطباء أو صوفية الخ . . . وهم فوق الحصر والتعداد وأخبارهم تملأ كتب التراجم الا أن قبورهم ضائعة لا يعرف عنها سوى أنها في مقبرة الباب الصغير أو في سفح قاسيون أو الروضة أو مقابر الصوفية في الشرف القبلي (يعني منطقة الجامعة والمستشفى) أو مقبرة الدحداح خارج باب الفراديس أو مقبرة الشيخ رسلان ، وقد اخترت من هؤلاء العلماء من تعرفت على قبره على وجه الدقة .

١ – ابن تيمية : هو تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني ثم الدمشقي . لقب بشيخ الإسلام الفقيه العالم المجاهد ولد بحران سنة ٦٦١ هـ وقدم مع والده وأهله الى دمشق وهو صغير وتوفي بها سجيناً بقلعتها من قبل السلطان المملوكي في أيام ولاية تنكز نائب الشام سنة ٧٢٨ هـ . وقد احتفل أهل دمشق بجنازته احتفالاً لا يحظى به إلا العظماء القلائل . لقد خرج أهل دمشق نساء ورجالاً ومعهم أهل القرى والأطراف لتشييعه . صلي عليه في الجامع الأموي

وأخرجت جنازته من باب البريد فلم يتمكن الناس من الخروج وراءها فتوزعوا على أبواب الجامع وضاقت بهم الطرقات فخرجوا من أبواب البلد جميعها ليتمكنوا من تشييع الجنازة الى مقرها الأخير في مقبرة الصوفية ، وقبره هناك معروف ومصان في حديقة تقع خلف دار التوليد .

٢ — ابن عساكر : هو علي بن الحسن بن القاسم الدمشقي محدث الشام ومؤرخها المشهور بمؤلفه التاريخي الضخم الذي وضعه قديماً في ثمانين مجلداً ، ولد عام ٤٩٩ ورحل كثيراً في طلب العلم ثم توفي في دمشق عام ٥٧١ ودفن بمقبرة الباب الصغير شرقي قبر معاوية . وقبره ضائع يحتاج الى شيء من التحريات للعثور عليه .

٣ — ابن كثير : هو عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير الملقب بالحافظ الكبير من أبناء بصرى الشام ، قدم دمشق وعمره سبع سنوات فتعلم ونبغ في الحديث والفقه ، وله كتب كثيرة أشهرها كتاب في التاريخ سماه البداية والنهاية وضعه في أربعة عشر مجلداً ، ويعتبر من المصادر الهامة . ولد سنة ٧٠٠ وتوفي سنة ٧٤٧ ودفن الى جانب أستاذه ابن تيمية وقبره هناك معروف .

٤ — محيي الدين بن عربي : هو أبو بكر علي الحاتمي الطائي الأندلسي المشهور بابن عربي ، ولد بمرسية في الأندلس سنة ٥٦٠ وساح في البلاد ومات في دمشق سنة ٦٣٨ ، وضع عدة مؤلفات في التصوف جعلته من أئمة المتصوفين والفلاسفة الإلهيين ، واختلف الناس فيه فبعضهم من أنكر عليه فلسفته وسفهها ومنهم من رامه الى مرتبة الأولياء . وقبره مشهور في الصالحية له مزار وقبة أمر ببنائها وبناء جامع الى جانبها السلطان سليم الأول سنة ٩٢٢ هـ ، وتضم تربته قبور عدة أشخاص منهم الأمير عبد القادر الجزائري .

عبد القادر الريحاوي

ARCHIVE http://archive.sakhrit.com

التعريف والنقد

الإمام محمد بن عبد الوهاب

مولده سنة ١١١٥ هـ وفاته سنة ١٢٠٦ هـ

تأليف الأستاذ أحمد عبد الغفور عطّار

لا شك أنّ الإمام محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله تعالى) هو مجدّد أمر الدين في القرن الثاني عشر، في أرض نجد وما جاورها من الأقطار العربية، فقد نشأ المترجَم، ورأى الناس منغمسين في الجهالة والضلالة معاً، ووجد أكثر من يقول: لا إله إلاّ الله، منهمكين في دعوة سواه، ممن لا يضر ولا ينفع، لقضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وهم ينكرون على مَن دعا إلى عبادة الله وحده، ويزعمون أن ذلك بدعة وضلالة، ويعادون من عمل بالتوحيد وأحبّه، وأنكر الشرك وأبغضه، وبعضهم لا يعدّ التوحيد علماً، ولا يلتفت إليه لجهله به، وعدم محبته له. ونحن نعلم بالضرورة أنّ النبي صلوات الله وسلامه عليه، لم يشرّع لأحد أن يدعو أحداً من الأموات بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، وأنّ ذلك مما نهى عنه الله ورسوله قال تعالى: «فلا تدعوا مع الله أحدا» ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبيّن لهم ما جاء به الرسول ﷺ مما يخالفه. كما جرى للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في ابتداء دعوته فانه كان رحمه الله إذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب رضي الله عنه قال: الله خير من زيد، تمريناً لهم على نفي الشرك بلين الكلام، ونظراً إلى المصلحة وعدم النفرة.

أمامنا الآن هذا الكتاب ، المسمى (محمد بن عبد الوهاب) البالغ (١٣٦ صفحة) المطبوع هذه الطبعة الثانية على نفقة المحسن السيد حسن شربتلي ، (سنة ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٦ م) المشتمل على مقدمتي الطبعتين للمؤلف وثالثة للأستاذ محمد جميل شقدار تبين مزية هذا الكتاب من الناحية الفنية على غيره .

وأما مباحثه فأولها : (الحياة في نجد) (ص ١٧ — ٣٢) بين الأستاذ العطار فيه كيف كان الناس يتخبطون في دياجير الجهل والكفر والظلام ، وكيف يقتل الأمراء والحكام ـ مَن يذكرهم بيوم الله ، ويخيفهم عقابه الأليم ، فاغتالوا كثيراً من العلماء الأجلاء رحمهم الله ، وفي هذه الصفحات الثلاث (٢٠ — ٢٣) وصف حوادث القتل ، عن تاريخ نجد للشيخ عثمان بن بشر ، وهي مما :

يصمّ السميع ويعمي البصير ويُسأل من مثله العافيه

ثم نقل المؤلف ما ذكره المؤرخ ابن غنام في تاريخه عن فساد الحياة الدينية في القرن الثاني عشر في نجد والأحساء وغيرهما من البلاد العربيـة ، وعبادة الصالحين والأولياء ، والتبرك بالأشجار والأحجار ، وضرب لذلك الأمثال .

والمبحث الثاني في ولادة محمد ونشأته (٣٣ — ٣٧) وكان أكمل ناشئ في قومه . والثالث : حجه البيت وزيارته المدينة . وقد أخذ العلم في المدينة عن أعلامها . والرابع : من المدينة إلى نجد ، ولم يطل به المقام في نجد حتى تجهز للسياحة في جزيرة العرب ، ولما دخل البصرة ، ودعا إلى الله على بصيرة ، لقي من أهلها الأذى والعدوان ، ومكث في الزبير أياماً ، ثم عاد إلى نجد ويمم (حريملا) داعيا ، آمراً ناهيا في كنف أبيه ، ولكنه فجع بموته رحمه الله (سنة ١١٥٣) فوجد عليه أشد الوجد ، واستقل بأعباء الدعوة في نجـد ، صابراً محتسبا ، ولقد تآمر العبيد ، الأنجاس المناكيد ، على حياته ، ولكنَّ الله سلَّم ، ثم انتقل إلى بلدة العُيينة ، وكان أميرها عثمان بن حمد بن معمّر ، فأكرمه ، وزوّجه من ابنته جوهرة وكانت امرأة عاقلة فاضلة ، فأعانت الشيخ

في أمر الدعوة ، ثم ناصبه العداء ، الأمراء والسفهاء ، فدخل بلدة الدرعية ، ونزل عند عبد الله بن سويلم ، فنقل خبره إلى أمير الدرعية محمد بن سعود . فجاء الامير بنفسه ومعه بعض رجاله إلى دار ابن سويلم ، ورحّب بالشيخ ، وأنزله عنده ، وتتلمذ له هو وأشقاؤه وكبار الدرعية ، وعمّ العلم جميع الطبقات ، وتتابعت الوفود الى الدرعية ، يستقون من معين العلم الصافي الذي لم تكدره البدع والأوهام .

ولما رأى ابن معمّر أن شأن صهره الذي أخرجه من بلده طريداً قد عظم ، قَصَد الدرعية ودعا الشيخ مؤكداً أنه سينصره نصراً عزيزاً ، فأجابه الشيخ بقوله : إن الفرصة قد ضاعت .

وعاد عثمان بن معمر إلى الدرعية مرة ثانية لاسترضاء الشيخ ولكنه لم يفلح ، أما أهل العيينة فقد بايعوا الشيخ كأهل الدرعية مبايعة صادقة كان منها : « كما نبايع على عداء كل من عادى الشيخ وموالاة من والاه ولو أنه أميرنا عثمان » لكن عثمان لم تكن مبايعته عن صفاء نيـة وصدق عقيدة . قال ابن بشر : في سنة ١١٦٣ هـ قتل عثمان بن معمّر في مسجد العيينة بعد صلاة الجمعة ، انتدب لقتله أناس من جماعته ، ذكروا أنهم تحققوا منه نقض العهد وموالاة الأعداء ومالأتهم اهـ ، ثم أقام الشيخ شقيق القتيل شاري أميراً مكانه وأمر أهلها بالطاعة له ما لم يدع الى منكر . واكتظت الدرعية بطلاب العلم ورواد الحق .

نقلت أخبار الإمام محمد إلى الكبراء ، فخاف الأمراء الأقوياء أن يمتد سلطان المصلح الجديد إلى ممتلكاتهم ورعاياهم ، وكان من ألدّ أعدائه دهام ابن دواس أمير الرياض ، وسليمان أمير الأحساء ، وبنو خالد ، وابن منلق أمير القطيف ، وابن ثويني أمير البصرة ، وكان أشد الأمراء عداء لدعوة الحق والإصلاح دهّام ، فدارت حروب طاحنة بينه وبين الأمير محمد بن سعود ، وانتصر ابن سعود عليه ، فخادع دهّام ، وكاتب الأمير والشيخ بانضمامه مع

جيشه إليها ، وفي ربيع سنة ١١٧٨ هـ خرج ابن سعود ومعه دهام بأهل الرياض لحرب العجمان الذين استنجدوا بصاحب نجران وغيره من القبائل فأنجدوهم ، وخان دهام ، فكان على الأمير ابن سعود مع العجمان ، وبسبب هذه الخيانة هزم ابن سعود وقتل رجاله . وأعاد الله له الكرّة بعد ذلك ، وخرج دهام خارجاً على وجهه ، من بعد أن قامت الحرب بينه وبين الأمير سعود نحو سبع وعشرين سنة . وابتلى الأمير والشيخ بعد دهام بعريعر أمير الأحساء ولم يكن أقل شرّاً وضرراً من غيره ، ثم صرفه الله كما صرف ابنه بطين من بعده ، قال المؤلف (ص ٨٩) : ومَن أراد أن يشبع رغبته من الاطلاع على الوقائع كلها ، فليرجع إلى تاريخي ابن بشر وابن غنام .

ولما شعر الشيخ بدنوّ أجله ، اعتزل السياسة والحكم تاركاً أمر إدارة المملكة إلى الأمير عبد العزيز نجل الأمير محمد آل سعود ، وتفرغ للتدريس والتصنيف ، وذكر له الأستاذ العطار ثمانية عشر مؤلفاً ، قال (ص ٩٧) : وللشيخ رسائل أخرى وفتاوى كثيرة ، لو جمعت لكانت أجزاء عدة لكتاب ضخم .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(المشابهة بين عهدين)

تحت هذا العنوان عقد المؤلف فصلاً في المشابهة بين عصر الضلالة قبيل النبوة ، وعصر الجهالة قبيل قيام الإمام ابن عبد الوهاب بنشر الدعوة . فرفعت راية التوحيد في العهد الأول ، وراية التجديد في العهد الثاني ، وكانت الهجرة والنصرة للموحّدين في العهدين ، فنصر الله عبده وأعزّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده .

(الدعوة الوهابية)

ذكر المؤلف في هذا البحث الدعوة الوهابية وخلاصتها : الدعوة إلى الدين الخالص ، والكَلِم الطيّب ، والعمل الصالح . وقد أورد المؤلف طائفة من كلام مشاهير العلماء والكتاب في المذهب الوهابي ، وانه المذهب الحنبلي بعينه ، وجعلوا

محمد بن عبد الوهاب ثالث الرجلين في الإصلاح والتجديد : ابن تيمية وابن القيم الدمشقيين .

وفي جوهر الدعوة الوهابية (ص ١٩) ومبحث القبور والخمور (ص ١٢٥) إلى آخر الكتاب ، أهمّ المسائل التي دعت إليها الوهابية ، والتي حذّرت منها أو نهت عنها ، فالأولى تضمنت صرف جميع أنواع العبادة لله وحده ، ومنع التوسل بغير العمل والدعاء ، والاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه المخلوق ، وطلب الشفاعة من مالكها ، والغلو في أهل القبور ، وتحريم المسكرات ، ومنع الدخان ، وذكر أدلتها من السنة والقرآن ، ونقل عن بعض من تكلم فيها من الأئمة الأعلام .

ولا يخلو الكتاب من أغلاط قلمية ومطبعية نشير إلى صفحاتها :

الصفحة	الخطأ	الصواب
٧٨	خير	خير
٧٩	سبعاً وعشرين	سبع وعشرون
٨٠	عن بعضها	بعضها عن بعض
٩١	في عصر	في عصره
١٠٥	حمر النعم	من حمر النعم
١٠٥	هقا	هذا
١٠٨	وابن القيم الجوزية	وابن قيّم الجوزية
١١٦	عمر بن النصر	عمر أبي النصر
١١٦	جزيرة العرث	العرب
١١٩	ولا تخشوهم	(فلا تخشوهم) .
١٢٩	ويخرجاه	ولم يخرجاه

ولعلّ المؤلف قد سها عن وضع فهرس للكتاب ، والله الموفق وإليه المآب .

الشيوعية والإسلام

تأليف عباس محمود العقاد — أحمد عبد الغفور عطار

كتاب يقع في مائة وستين صفحة . أوله (إلى ص ١٠٨) للأستاذ العطار . والقسم الثاني عنوانه «الإسلام والشيوعية» وهو فصل كبير من مؤلف ضخم ، للأستاذ الشهير العقاد ، سماه «الشيوعية والإنسانية» ، وقد أحسن الأستاذ العطار بضم هذا الفصل إلى كتابه ، إذ دافع فيه الأستاذ العقاد عن الإسلام في قضايا الرّق وتعدّد الزوجات ، وحدود العقاب ، وشروط المعاملات الاقتصادية وغيرها دفاعاً مقنعاً لا يحتمل الجدل الباطل ، وبين فيه جناية المذهب المادّي على المرأة والأسرة ، ثم على المجتمع في حاضره ومستقبله ، قال (ص ١٤٢) فلن يكون خلاصها من الاستغلال على يد النظام الذي يرسلها إلى الأسواق ، والمصانع ومعارك السياسة والكفاح ، ولن تخلص من الاستغلال إلا إذا ملكت بيتها أمًّا وربة أسرة ، وسيدة للعالم الصغير ، وذكر القيود والشروط لإقامة الحدود والتعازير ، وأوضح حلّ الإسلام لمشكلة الفقر والحاجة بإيجاد العمل على القادرين ، وإسعاف العجزة والعظام النخرة ، من طول السنين . وأما الأستاذ العطار فقد حارب الشيوعية حرباً لا هوادة فيه ، ولما سأله بعض الإخوان عن رأيه فيمن ينقلب شيوعياً من المسلمين ؟ أجاب بأن الشيوعية تنكر وجود الله ورسالة الرسل عليهم السلام (قال ص ٨) وهذا وحده كاف لأن يهدينا الى الحكم على معتنقها ، (قلت) وهذا القدر معرّف بالحكم ، وهو يغني عن كل ما سبقه ولحقه من سب وشتم ، لا سيما بعد أن عادت الشيوعية واعترفت بالأسرة ، وبالملكية الفردية ، وقال (ص ١٠٦) لقد لحق التبديل والتغيير كل قواعد المذهب وأسسه ، فالأسرة قامت من جديد ، والملكية اعترف بها ، واعترفوا بالوطنية والقومية ، ورَفعَ النقدُ الأدبي رأسَه ، فصارت الصحف الروسية تنشر النقد ، ولكن ليس للأداة الحكومية وجهاز الحكم ، ومن يهدم مقادير البلاد ،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومع ذلك فهو بشرى خير إن شاء الله ، وكذا تقرأ في الفصل الذي عقده الأستاذ العقاد ، رجوع الشيوعيـة عن عوامل الهدم والفساد ، في الأسرة والمجتمع ، وإثبات الحرية الشخصية ، والملكية الفردية ، في المزارع ، وهزيمة المذهب القديم (ص ١٥٦ و ١٥٩) . وهذا يدل دلالة صريحة على أن الشيوعية كانت شيوعية أرض لا شيوعية عرض .

وكان لبّى مجمعنا العلمي بدمشق دعوة المجمع الموسكوي سنة ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤م ، واجتمعت هنالك باخواني المسلمين ، وصليت الجمعة في جوامع موسكو وطاشقند ، وزرنا قُثَم بن العباس (رضي الله عنهما) الذي استشهد في سمرقند ، وشاهدنا جامع لينين گراد الذي بنوه بعد الانقلاب الأخير في عاصمة الروس القديمة ، وكنا نسمع خطب الجمعة بلغة القرآن ، واجتمعنا في طشقند بالشيخ المعمّر المفتي العام رحمه الله ، وتناولنا الطعام على مائدته مع القاضي الفاضل ، وأخبرونا أن أربعة عشر جامعاً في هذه العاصمة تقام فيها الصلاة ، وعدد نفوسها نحو مليون نسمة ، ورئيس جمهوريتها مسلم ، وأكثر أعضاء المجمع العلمي في طاشقند من المسلمين ، وأكثر من ثمانين بالمائة منهم أيضاً ، وهم بزيهم الشرقي وعمائمهم كما رأيناهم في مكة والمدينـة وجدة والطائف من أرض الحجاز ، وفي بلاد الشام ، وشهدنا - في سمرقند - تجديد عمران المساجد القديمة ، ورأينا صورة داعية الإصلام في بلاد الروس الشيخ طنطاوي عيّاد المصري (رحمه الله) الذي توفي من نحو نصف قرن ، مرتفعة على الجدران مع صور مشاهيرهم وأكرم رجالهم ، وانما ذكرت هذا عملاً بقوله تعالى « ولا يجرمنّكم شنآنُ قوم على أن لا تعدلوا : اعدلُوا هو أقرب للتقوى » (أي لا يحملنكم بغض قوم لكم ، أو بغضكم لهم ، على ألا تعدلوا فيهم : اعدلوا هو أقرب للتقوى) وهذا أمر إلهي لا يستطيع المسلم أن يعدل عنه ، أو يماري فيه ، فاللهم ألهمنا رشدنا .

محمد بهجة البيطار

أسرار العربية

للإمام أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري

بتحقيق الزميل الأستاذ محمد بهجة البيطار من أعضاء المجمع العلمي العربي

عـــدد صفحاته ٤٢٩ غير الفهارس ، وطبع بدمشق (١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م)

إن من أظهر صنائع المجمع العلمي العربي الجديرة بوقف الألسنة على شكرها اهتمامه بنشر ذخائر سلفنا العربي الصالح التي تعين على بعث لغتنا وإحياء آثارنا العلمية والأدبية ، ومن أنفس تلك الذخائر الدالة على مبلغ عناية سلفنا بالعربية وعلومها (كتاب أسرار العربية) للإمام عبد الرحمن بن محمـد بن أبي سعيد الأنباري الحكم الفصلُ بين المذهبين البصري والكوفي في النحو ، وغير المتحيز لمذهبه البصري إن كان الحق بؤيّد الكوفيّ ، وفي ذلك ما فيه من بث روح الإنصاف في طلاب النحو ، والحثّ على التزام الحيدة العلمية في التأليف والتعليم ، ولا أُبين لما ذكرتُ ولا أوصف لموضوع هذا الكتاب مما وصفه به في المقدمة مؤلفه إذ يقول :

« وبعد فقد ذكرتُ في هذا الكتاب الموسوم « بأسرار العربية » كثيراً من مذاهب النحويّين المتقدّمين والمتأخرين من البصريّين والكوفيّين ، وصححت ما ذهبت اليه منها بما يحصل به شفاء الغليل ، وأوضحت فساد ما عداه بواضح التعليل ، ورجعت في ذلك كله الى الدليل ، وأعفيتُه من الإسهاب والتطويل ، وسهّلته على المتعلم غاية التسهيل ، والله تعالى ينفع به ، وهو حسبي ونعم الوكيل . »

وقد صرف الأستاذ الناشر الفاضل نظره عن إبداء ملاحظاته والمبالغة في التعليق والتعليل تفادياً من الإملال والتطويل ، مكتفياً بإخراج نسخة صحيحة

من النسخ المخطوطة والمطبوعة التي يكمل بعضها بعضاً ، كما عُني بتفسير غامض اللغة وشرح الشواهد وعزوها الى أهلها مع ايراد تراجم لما في الكتاب من العلماء والشعراء ، كما كشفَ عن مكامن فوائده بفهارس مفصّلة تعين على الرجوع الى المسائل التي يحتاج المطالع أو المراجع اليها ؛

وهنالك لأسرار العربية ثلاثة أصول مخطوطة : أجلّها مخطوطة مدينة السلام القديمة القوية التي اعتمد عليها المستشرق الألماني فريدريك سيبولد لكمالها فاعتمد عليها الناشر لذلك ، ولسقوط أبواب كاملة من النسختين المغربيّتين ؛ وقد مضى على طبع أسرار العربية بليدن ثلاثة أرباع القرن ، ففقدت النسخ المطبوعة كلها ، وفي بلادنا العربية خاصة ، وأصبح بذلك هذا الكتاب المطبوع كالمخطوط ، وبعده عن العيون كالمدفون ، مما دعا مجمعنا العلمي الى إعادة طبعه لتعميم نفعه .

هذا وقد أكمل الناشر المحقق هذا الكتاب الجليل بترجمة ضافية للمؤلف في حياته العلمية والخلقية وبيّن ماله من مؤلفات ممتعة أحسن للقراء وصفها ، وبذلك أصبح هذا الكتاب المنشور داني القطوف للراغب وقريب المنال للطالب ، لا تشوبه سوى هفوات مطبعية لا يخلو منها كتاب ، فالله يجزي المؤلّف والناشر عن العربية خير الجزاء ، فلقد يقصّر عن حقّها طويل الثناء .

التنوخي

اقتصاديات العراق

محاضرات الدكتور عبد الرحمن الجليلي في ٢٥٥ صفحة

إن درس الحالة الاقتصادية ، في كل قطر من الأقطار العربية ، من قبل الإخصائيين ، فيه فوائد جمة ، للعرب أجمع ، إذ يعرف بعضهم بعضاً ، ويتفاهمون في الأمور الاقتصادية ، ويتقاربون في الأعمال ، وقد أحسن معهد الدراسات العربية العالية ، في جامعة الدول العربية ، في الطلب الى بعض الاقتصاديين بالقاء محاضرات على طلبة المعهد ، وفي جمعها في كتاب على حدة .

لقد كان الدكتور عبد الرحمن الجليلي من الذين حاضروا عن اقتصاديات العراق .

وقد بحث الدكتور الجليلي في محاضراته هذه ، عن مساحة العراق ، والأراضي القابلة للزراعة هناك ، وحالة الأمطار ، ومقدار الإنتاج ، وعدد السكان والبدو ، وعدد عمال الزراعة ، الذين يبلغون ٦٠ — ٨٠ في المئة من مجموع السكان .

وبين حالة التعليم في المدارس وان عدد التلاميذ قرابة ربع مليون أي ١٢ ٪ من مجموع السكان ، وان عدد المدارس قد ارتفع الى ١١٠٠ مدرسة كما بين أن لكل ٧٠٠٠ شخص طبيباً واحدا ، وان الملاريا تقضي على ما يقرب من ٥٠ الف نسمة في كل عام .

وقدر متوسط دخل الفرد السنوي بحوالى ٣٠ ديناراً للفرد ، على اعتبار ان مجموع دخل العراق العام السنوي هو ١٥٠ مليون دينار ، وهو دخل ضعيف ولا شك مما يدل على أن الحكومة العراقية كانت نائمة عن تحسين اقتصاديات البلاد ، وعلى أنه لولا النفط ؛ الذي بلغ دخل الحكومة منه عام (١٩٥٣) ٥٢ مليون دينار ، ثم ارتفع الى قرابة مئة مليون دينار في عام ١٩٥٨ ، لكانت بقيت اقتصاديات العراق سيئة لزمن طويل .

ثم بحث عن صادرات العراق ، وعدد الجرارات والدرّاسات الحاصدات ، ومعيشة الفلاح السيئة الذي هو عبارة عن أجير عند صاحب الأرض .

ثم بحث عن الماشية (كل أنواع الحيوانات) التي تبلغ قرابة عشرة ملايين رأس ، وهي قليلة ولا ريب .

وبحث عن الصناعة وقال ان العراقيين لم يعتادوا توظيف أموالهم في الصناعة ، ولام الحكومة عند بيان السبب بقوله : «عدم قيام الحكومة بتوفير الناحية الفنية والإدارية لتشجيع الناس على الدخول في المجال الصناعي لأن مجرد الإعفاء من الضرائب لا يغير الأشخاص الذين لا يعرفون كيف يستثمرون أموالهم في الصناعة (ص ٦٣) .

ثم بين أن الحكومة العراقية قامت ببعض الصناعات ، كصناعة الأقمشة والاسمنت ، والسكر ، ولكنها لم تدر مصانعها بجدارة مما جعل الدكتور الحاضر يقول : «ان التبذير في الأعمال الحكومية قضية مسلم بها وعدم وجود الدافع الشخصي والمنفعة الذاتية ، يجعل كفاءة المصانع الحكومية أقل من كفاءة المصانع الفردية» (ص ٧٢) .

وقد انتقد الإقليمية الضيقة في البلاد العربية ، التي لم توجد صناعات ثقيلة ، فقال : «ويكفي أن نشير الى أن صناعات عسكرية كبيرة ، وميكانيكية يمكن أن تنشأ وتنجح في البلاد العربية لو كانت الوحدة بينها حقيقية وصحيحة» (ص ٧٥) وهذا قول حق .

وقال إن إحداث المصرف الصناعي في العراق عام ١٩٥٠ برأسمال مليون دينار ثم ارتفاع رأس المال الى ثلاثة ملايين عام ١٩٥٢ قد أفاد الصناعة في العراق .

وبحث عن التجارة في العراق وبين العجز التجاري المتواصل ، وان المستورد في عام ١٩٥٣ كان بقيمة ٥١ مليون دينار ، بينما لم يكن المصدر إلا بقيمة

٢٠ مليون دينار ، أي ان العجز كان ٣١ مليون دينار وهذا دليل على اهمال الحكومة آنئذ .

ثم بحث النظام النقدي في العراق ، وان المصرف الوطني قد أسس عام ١٩٤٧ ، وبين أن مجموع الودائع التي في حوزة المصارف التجارية في عام ١٩٥٢ كان ٣١٫٣ مليون دينار وهو قليل ولا ريب .

وبحث عن النفط العراقي والشركات التي تستثمره وتاريخها ومقدار الانتاج وحصة العراق ، ومساهمة العراق في الشركات والمصافي هناك ، وخط الأنابيب بين كركوك وبانياس وطوله ٥٦ ميلاً ، وسعته ١٤ مليون طن ، وتأثير النفط في الاقتصاد العراقي ، ونسبة الدخل من النفط الذي بلغ عام ١٩٥٣ ٥١ مليون دينار الى الدخل القومي الذي هو قرابة ١٥٠ مليون دينار ، وان حصة الحكومة من النفط هي ٥٠٪ فقط .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويظهر أن الحكومة العراقية ، قد قصرت في استهلاك مقدار كبير من أسهم شركات النفط ، التي تحسب بموجبها حصة العراق ، لأن العراق يحرم من جراء تلك الأسعار ، ما يزيد على ١٠ — ١٥ مليون دينار في كل عام .

وتحدث عن مجلس الإعمار الذي أحدثته الحكومة العراقية عام ١٩٥٠ ، ووزارة الإعمار التي أوجدتها عام ١٩٥٣ وبين الصلاحية الواسعة للمجلس والوزارة ، وقد بلغت واردات المجلس في عام ١٩٥٤ مقدار ٣٨٫٨ مليون دينار والنفقات ٣٠ مليون دينار فقط ، وان المجلس أقرض مبلغ ١٤ مليون دينار الى المصالح والدوائر المستقلة ، وان المجلس أوجد برامج للزراعة والصناعة والمواصلات والمباني لمدة خمسة أعوام ، وكل ما خصص لذلك ، هو من موارد النفط .

وختم محاضراته ببحث سياسي اقتصادي ، وهو اشتراك سورية والأردن

ولبنان مع العراق في العمل ليصبحوا منطقة من العالم ، وان لبنان باقي العث من سورية (ص ٢٥٠ — ٢٥٥) .

وقد قال في ذلك : « ونجد كيان العرب السياسي والعسكري في هذه المنطقة من العالم ، وفي العلاقات الدولية ، قائمة على تجمعهم في كيان ينتظم أول الأمر ١٤ مليون من السكان ، لهم من الموارد الطبيعية والثروة المستقلة ، ما تساعدهم على سرعة بناء كيانهم السياسي والعسكري على أحسن وجه وأقواه » (ص ٢٥٤) .

وقوله هذا هو من خطة الحكومة العراقية (عام ١٩٥٥) بينما قد رأت سورية مصلحتها واتحدت مع مصر التي تكن لها أجل العواطف ، والتي تربطها بها « روابط اقتصادية وقومية وتاريخية وعسكرية هامة لا انفصام لها ، وما على العراق الشقيق إلا أن يندمج في الوحدة العربية .

في الحق أن الدكتور المحاضر ، قد توسع في استعراض اقتصاديات العراق ، وكان موفقاً في ذلك وقد أفاد طلبة المعهد ، وغير المعهد ، في الاطلاع على اقتصاديات القطر العراقي العربي ، ولو أنه توسع أيضاً في انتقاداته للحكومة العراقية (آنئذ) فيما يتعلق بضعف الاقتصاد القومي ، وعدم أخذها حصة كافية من النفط ، وقلة عدد المدارس والأطباء رغم مواردها العظيمة من النفط ، لكان أسدى الى العراق خدمة جلى ، إذ ينبه الشعب الشقيق الى تسيب واهمال حكومته ، ويدعو الحكومة إلى العمل الجدي .

وصفوة القول : ان هذه المحاضرات قيمة ، وجديرة بالتقدير .

منير الشريف

آراء وأنباء

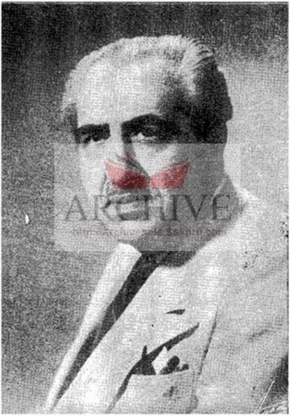

الأستاذ الرئيس خليل مردم بك

(١٨٩٥ ــ ١٩٥٩)

خليل مردم بك
(١٨٩٥ ـــ ١٩٥٩)

في صبيحة الثلاثاء الواقع في ١٥ محرم ١٣٧٩ هـ، والموافق لـ ٢١ تموز ١٩٥٩، قضى رئيس مجمعنا العلامة الشاعر الأستاذ خليل مردم بك، إثر مرض لازمه شهوراً، فبكته البلاد، وشيعه أعلام العرب، ومشى وراء نعشه رجالات البيان. وكان لنعيه رنة حزن وأسى في القلوب جميعاً، لما كان عليه الراحل الفقيد من مزايا نادرة وصفات باهرة في الخلق والأدب والانتاج. وبموته انطوى علم من أعلام الجيل الماضي ظل خفاقاً منذ أهل القرن.

كان الفقيد نموذجاً رائعاً من رجال البيان لصدر هذا العصر في أدبه وانتاجه، يلز بالفحول من الشعراء في مصر والعراق ولبنان، ويلحق بكبار الأدباء من الصفوة المختارة، رفع اسم بلاده عالياً، وقضى حقها كاملاً، وناضل في سبيلها كل حياته، فأصبح منارة يستضيء بها الجيل الصاعد، وغدا أمثولة تحتذى وسيرة تقرأ. فقد كان من الأوائل الذين استساغوا الأدب الضخم والعبارة الفخمة والشعر المتين، عكف على تراثنا الخالد، وأفاد منه، وحببه إلى الناس فخدم الأدب المعاصر خدمة لا تنسى، وكان صلة الوصل بين القديم والحديث، جمع أطايب القول وأحاسن الصور، وعرضها في أجمل ثوب وأحسن حلي، وقاسى في سبيل ذلك ما لا يقاسيه جيلنا من فقد المصادر، وندرة الخزائن، وقلة الثقافة، وضآلة التعليم، وجفاف الينابيع.

كان القرن التاسع عشر يتنفس آخر سنيه، شقياً بما شهد من ظلم وعسف وضيق، وكانت الأنوار تظهر حيناً وتختفي أحياناً. وفي سنيه الأخيرة، قبل

أن يموت هذا القرن ، ولد خليل مردم بك حوالي سنة ١٨٩٨ (١) بدمشق ، لأب هو أحمد مختار مردم بك ، وأم هي السيدة فاطمة الحمزاوي ابنة السيد محمود الحمزاوي مفتي دمشق وعلامتها ، وصاحب التصانيف المعروفة من شعر ونثر . ولم يكن له إخوة من الذكور ، وانما كانت له خمس شقيقات ، فدفع به أبوه إلى التعلّم ، وسلكه في مدارس ذلك الزمان ، وهي ضعيفة الثقافة ، فنشأ الصبيّ كما نشأ أقرانه ، ودرج في مدرسة الملك الظاهر الابتدائية . ولكنه ما كاد يتم الرابعة عشرة من عمره حتى فقد أباه ، ثم فقد أمه بعد أربع سنوات ، فغدا في صدر حياته يتيم الأب والأم ، يسير بين أشواك الدنيا حذراً قلقاً متردداً ، حيياً خجولاً ، وكأن المصيبة طبعته بطابع الصمت والحذر والسكون ولازمه ذلك طوال حياته .

ومضى الشاب إلى إكمال تحصيله رغم يتمه ، بتوجّهه إلى أساليب تلك الأيام ، فأقبل على الحديث والفقه والنحو والصرف ، فدرس الحديث على المحدث الشيخ بدر الدين الحسني ، والفقه على قاضي الشام الشيخ عطاء الله الكسم ، والصرف والنحو على الشيخ عبد القادر الإسكندراني ، وهم علماء دمشق والمقدمون في مجالي الثقافة والمعرفة ، فأفاد منهم ، وأخذ عنهم ، حتى علقت به أساليب القدماء وطرقهم ، فوقف على العربية وهو ما يزال يزحف نحو العشرين من سنيه ، وراح يقرض الشعر ، ويتلهى بقوافيه ، يقلّد القدماء ويجري على سننهم حتى أصبحت له ملكة في الشعر ، فدار اسمه ولمع صيته في بلده .

وانقضت سنة ١٩١٨ بويلاتها وشرورها ، وجلا الأتراك عن دمشق ، فعيّن الشاب مميزاً لديوان الرسائل العامة ، ينقح ما بين يديه من أوراق ،

(١) ذكر بروكلمن ٣ / ٣٥٦ في ترجمة الفقيد ، أنه ولد سنة ١٨٩٥ ، ولعله نقلها عن كامبفماير الذي استكتب أدباء دمشق سيرهم ، بأقلامهم . ولكننا نتابع في حساب السنين ما كان الراحل يريد أن يجعله سنة لولادته في أوراقه الرسمية .

ويختار أشرف الألفاظ ، ويمارس الوظيفة مترقياً في مراتبها حتى أواخر سنة ١٩١٩ . وقد شهد خلال هذه الحقبة كثيراً من الرجالات الرسميين عن كثب ، واستمع الى أحاديثهم ، ورأى بعينيه تاريخاً جديداً للأمة العربية يسطر ويكتب ، فاهتز قلبه للأمجاد ، وتفتحت نفسه للمناصب ، وظل عمره كله يذكر تلك الحقبة السعيدة من سنيه ، ويتغنى بأنه رأى أمته تنشئ الحياة وتبني العز من جديد بعد ركود طويل . فآمن بعروبته ، وتعشق بطولاتها ، وسحر بتاريخها ، وأحب أن تعود كما كانت تسابق النجوم وتصافح المفاخر ، فمال قلبه إلى الشعر الوطني ، وتغنى لسانه باستقلال العرب .

ولما دخل الفرنسيون دمشق ترك الوظيفة ، وانصرف عن خدمة القوم ، وتغلغل في قلبه كرههم ، وعرف بذلك كل حياته ، وعشق الشعر المهجري ، وأطال صحبته لإنتاج الرابطة في نيويورك ، فكان من ذلك أن أسس مع صحبه « الرابطة الأدبية » ، دخلها معه أدباء ذلك العهد ، وفيهم : محمد الشريقي ، ايفانوس شفيق جبري ، حيدر مردم بك ، سليم الجندي ، حليم دموس ، أحمد شاكر الكرمي ، قبلان الرياشي ، عبد الله النجار ، جورج ريس ، نسيب شهاب ، ماري عجمي ، عز الدين علم الدين ، نجيب الريس ، فخري البارودي وغيرهم ...

وعقد أعضاء الرابطة أول اجتماع لها في شهر آذار سنة ١٩٢١ ، ووضعوا قانوناً لجمعيتهم ، وانتخبوا خليل مردم بك رئيساً للجنة الإدارية وعمره ثلاث وعشرون سنة .

وكانت الجمعية تعقد كل أسبوع اجتماعاً ، يلقي فيه أحد الأعضاء محاضرة في موضوع معيَّن . ثم أنشأت الرابطة مجلة باسمها « مجلة الرابطة الأدبية » فكانت من خيرة الصحف لذلك الزمان في موضوعاتها وفي أسلوبها ، تختار أطايب القول في الشعر والنثر ، وتترجم عن فحول الغربيين ، وتعنى باللغة ومفرداتها . وقد صدر العدد الأول منها سنة ١٩٢١ ، وفي صدرها شعارها : « انشاء جامعة أدبية تلم شملهم وتوحد قوتهم » .

وفي هذه المجلة نشر الفقيد شعراً ودراسات ، وكان الشعر في الغزل ، وهذه مطالع بعضه :

الهوى يا ميّ صعب ... فارحمي من لك يصبو

أما بنتك قلبك مستطارا ... إذا ما البرق أومض واستطارا

هل تذكرين بسفح دمر ساعةً ... فيها افترشتِ يدي وفضل ردائي

وهذه القصائد مشبوبة العاطفة ، مضطرمة اللوعة ، تمثل الشاب في هذه السن ، وقد تفتح قلبه للهوى وخفقت ضلوعه للحنين ، وسالت في دروب حفظه أشعار البحتري وابن المعتز وقصائد العذريّين ، فكان صورة عنهم في الرقة والأسلوب وفي كثير من معانيه ، فقد سلك الشاب في حب الشعر القديم والتراث الخالد منذ هذه السن مسلكاً عجيباً ، وعكف على المخطوطات ، وأخرج مع زملائه من أعضاء الرابطة كتاب «معاني الشعر» للاشنانداني ، [1] وطبعه بدمشق سنة ١٩٢٢ . وطفق بعد ذلك يكتب مقالات ودراسات في مجلة المجمع العلمي عن المخطوطات ونقد الكتب المحققة ، فكان لأساتيذه القدماء فيما نظن أثر في توجيه هذه الوجهة ، بل كان للمحققين في زمانه يد في هذا الحب ، وفيهم الشيخ طاهر الجزائري والأستاذ محمد كرد علي .

وظلَّ الرجل يعمل للرابطة وحلقاتها ومجلتها حتى شعر المستعمرون أنه محور يقظة ، وموضع بعث فأغلقوا المجلة ، وحلُّوا الجمعية ، وانتثر العقد ووقفت الرابطة بعد أن قامت بنشاط منتج ، وأصدرت من المجلة تسعة أعداد سدت بها فراغاً كبيراً .

***

ولا شك في أن هذا النشاط وهذا الانتاج دفعا بالمجمع العلمي العربي إلى تقدير شاعرنا وانتخابه عضواً في المجمع [2] ، فتقدم اليه برسالة عن «شعراء الشام

(١) طبع بنفقة الرابطة سنة ١٩٢٢ في ٢٠٨ صفحات .
(٢) انتخب في ٩ كانون الثاني سنة ١٩٢٥ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

في القرن الثالث» نمّت على حذق وفهم وحبّ عميق للشعر الأصيل، وعكوف على هذه الطبقة المختارة من شعراء العرب، ظل فقيدنا يغذيها بقراءاته وبحوثه، وجهوده في جمع الدواوين طوال عمره حتى كاد يستكمل حلقة الشعر في الشام منذ القرن الثالث حتى السابع. وقد نشر دراسته هذه في مجلة المجمع [1] أولاً، ثم طبعها على حدة في كتاب صدر سنة ١٩٢٥.

وهكذا احتل الرجل مقعداً من مقاعد الخالدين. وكانوا خلاصة الأعلام وسادة الثقافة والبيان، ينظر اليهم العرب في أقطارهم على أنهم معقد الأمل وحصن العربية ومصنعها الضخم، عنهم تصدر المقالات الرصينة، وفي دارهم تعقد الندوات الأدبية الرفيعة، وبيدهم تحرر أوثق مجلة علمية نشأت مع الاستقلال العربي. وما زالت كذلك إلى اليوم تطيف على عالمنا كؤوس المعرفة صافية، ودراسات الأدب نقية، خالية من شوائب العصر، بعيدة عن السياسة كل البعد، حتى غدت منارة وحدها بين صحف تولد وتموت، وتظهر وتطوى، ولكنها كالمجمع نفسه جبلت على الخلود، والخلود لا يمسه عيب ولا يلحق به نقصان. وكان هذا المجمع مثالاً ناجحاً احتذاه علماء القاهرة وبغداد، فأنشؤوا في كل من الحاضرتين مجمعاً ومجلة ليسيروا بها على غرار دمشق.

وفي هذه المجلة نشر الفقيد مقالات يجب أن تجمع ليوم ذكراه، كما فعل في جمع مقالات غيره، فقد كان الرجل مثال التواضع والتفاني فصرف همته إلى دواوين غيره ومقالات زملائه، ولا يصح أن ينصرف زملاؤه عن العمل لمقالاته ودراساته.

وفي هذه السنة نفسها (١٩٢٥) نشر فقيدنا «كتاب وقف الوزير لالا مصطفى باشا، وكتاب وقف فاطمة خاتون بنت محمد ابن السلطان الملك

(١) انظر مجلة المجمع سنة ١٩٢٥ (ص ٢٩٤ وما تليها) وكتاب شعراء الشام، طبع دمشق سنة ١٩٢٥، في ٩٦ صفحة.

الأشرف قانصوه الغوري » وكتب على الغلاف : « وقف على طبعها خليل بن أحمد مردم بك »[١] .

ولم تكن أعمال النشر والتحقيق والمقالة وحدها هي التي تستبد بوقت فقيدنا ، فقد كان يؤمن بأن للنضال عليه حقاً ، لذلك عاش حياته كلها يعمل للأدب ويتغنى بالثورة ، فهو في برزخين أبداً ، ينتقل من هذا إلى ذاك ، كما ينتقل الطير من فنن إلى فنن ، فكان ينظم الشعر في الجمال كما ينظمه في خير وطنه وفي إثارة الشعب ورد الطغيان ودفع الظلم ، فكانت منه قصائد عامرة نظمها في الوطنية والعروبة وطرد الفرنسيين ، ردّدتها دمشق وتغنت بها ، فلما نشبت الثورة السورية سنة ١٩٢٥ ، وقام النهب والحريق والقتل في جنبات الغوطة الغناء وفي رحاب دمشق الفيحاء أرسل قصيدته المشهورة « يوم الفزع الأكبر » ومطلعها[٢] :

أمدّه الدمع حتى غاض جائده من بأدمع عينيه يرافده

فتناقلها الناس ، ونشرتها الصحف العربية ، وتلفت الفرنسيون إلى هذا النور ليطفئوه ، وأرسلوا في اثره يطاردونه ، ففر إلى لبنان ، واستخفى فيه بقرية « المروج » بمساعدة صديقه الشاعر أديب مظهر . وما علمت السلطة بوجوده هناك حتى راحت تلاحقه للقبض عليه ، فهرب الى الاسكندرية سنة ١٩٢٦ ، ونزل عند شقيقته السيدة فائزة زوجة المرحوم الدكتور أحمد قدري (وهو من أعلام الثورة العربية ومن رجال فيصل الأول المقربين) .

ولبث الفقيد في مصر أربعة أشهر كان لها أثر كبير في حياته ، فقد كان يقرأ عن بعد لأعلام المصريين ، ويستمع الى أخبارهم ، ويتلقف آثارهم ،

(١) طبع بدمشق على نسخ قليلة ، سنة ١٩٢٥ في ٣٠٠ صفحة .
(٢) انظر ديوان الثورة ، جمع محمد ياسين عرفة ، مصر ١٩٢٦ ، ص ١٢٤ .

ويشتاق إلى معادن العربية من مكامنها ، فلما بلغ اليهم اتصل بالأعلام ، وعرفهم كما عرف من قبل رجال السياسة العربية في بلده . وقد عرفنا من أحاديثه الشخصية ما كان يلقى من إكرام وما يصيب من ود ، ورجوناه أن يسجلها لجيلنا ، فكان منه مقالتان في ذكرياته مع حافظ ابراهيم بالاسكندرية وحلوان ، نشرهما في مجلة المجمع العلمي العربي [1] ، تحدث فيهما عن شاعر الشعب في أدق عيشه وحركاته .

وتأثر الفقيد من غير شك بجو الاسكندرية وثقافتها ، فعزم على الدراسة في الغرب ، وقرر أن يقصد الى انكلترة ، فسافر اليها وانتسب إلى جامعة لندن ، ولقي فيها آفاقاً رحبة واستمع إلى كتاب الإنكليز ، وظل طوال عمره يذكر أثر ذلك ، وما كان من استماعه إلى وباز وغيره من الكتاب الغربيين . ولبث في تلك البلاد أربع سنوات درس فيهما الآداب وحصل على شهادة تعادل الدكتوراه . وقد كان لوقوفه على الأدب الانكليزي ورحلته في الغرب أثر هام في شعره، وظهر الأثر في قصائده : سكران وسكرى ، والغوطة ، وبردى والرقص ، فجمع جزالة العبارة إلى براعة الصورة ، وأفاد من الشعر الفحل في مصر ، واللون الغربي ، ووفق في الموسيقى والخيال ، وارتفع بالشعر الشامي المعاصر إلى مراتب الجودة والتوفيق .

وعاد إلى دمشق سنة ١٩٢٩ مشوقاً ظمآن إلى ربوعها ومواطن صباه ، والجراح تحت ردائه لما أصابها من نكبات وهزات ، فاستقبلها بقصيدة لعلها من خير شعره ، حيا فيها عاصمة بني أمية ، وجعل عنوانها «سلام على دمشق» قال في مطلعها :

تلاقوا بعد ما افترقوا طويلا فما ملكوا المدامع أن تسيلا

فاهتزت مشاعر قومه ، وصفق له الأدباء ، ورأوا فيه شاعراً ألان القوافي لبراعته ،

(١) انظر مجلة المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٥٦ (ص ٣٥٣ - ٣٧٠) ، (ص ٥٢٩ - ٥٤٣) .

فأكبروه وأحلوه مكانة الود والإكرام . وعيّن مساعداً لرئيس الأدب العربي في الكلية العلمية الوطنية ، وظل فيها تسع سنوات من (١٩٢٩ — ١٩٣٨) وفي هذه الكلية تخرج على يديه أدباء وعلماء سلكوا في دروب المعرفة ، ورفعوا لبلادهم في مختلف الميادين ذكراً لا ينسى .

وفي سنة ١٩٣٣ حنّ من جديد إلى الصحافة الأدبية ، فأصدر مع الدكاترة جميل صليبا ، وكاظم الداغستاني ، وكامل عياد مجلة « الثقافة » جاء في مقدمتها كلام يبين عن بعض أهدافها : « للأدب أبلغ أثر في تكوين هذه الثقافة ، فهو روح النهضات ، ومظهر حياة الأمة ، ولقد طغت عليه جلبة السياسة في هذه الأيام حتى كادت تخفت صوته في ضوضائها ، فأصبح من الواجب إقالته من عثرته والأخذ بيده ، وتقديس حرمه ، وانتهاج طريق واضح له في الدراسة والوضع » . وهذه السطور تغني عن شرح كثير في وصف الحال ورسم البواعث التي أهابت بالفقيد ورصفائه إلى إنشاء هذه الصحيفة .

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

وكانت « مجلة الثقافة » صورة للصحف الراقية في بحوثها ومقالاتها وصورها الفنية ، تختار الشعر الجميل والقصص البديع والترجمات الحسنة . وكان للفقيد فيها شعر ونثر ، كما كان في مجلة الرابطة من قبل . ولكنه هنا أبلغ وأحسن ، فقد سار الفقيد يخطى نحو الجمال والإتقان ، وأصبح يفهم الشعر على أحسن ما تفهمه الآداب الراقية . وكتب مقالاً نشره في هذه المجلة نتخذه دليلاً على أسلوبه في الكتابة والنثر ، وشاهداً على ما نقول من فهمه لرسالته في الأدب قال[1] :

« الشاعر : مخلوق خالق ، وروح خالد ، يصور من خفقات قلبه وخلجات ضميره وإبداع فكره أشباحاً ينفخ فيها من روحه فاذا هي من الخالدين . ملك أو جني ، هبطت روحه من عالم الغيب ، فتمثلت بشراً سوياً ، فهو مع بني الإنسان ،

(١) انظر مجلة الثقافة بدمشق ، تموز ١٩٣٣ (ص ٣١٧ - ٣١٨) .

ولكنه غريب عنهم ، فما يزال يصيخ إلى هينمة الملائكة في السماء أو عزيف الجن في الصحراء ، ويستشف من وراء الأفق عالماً نورانياً ، ويتبيّن في الجو مسارح أنسه الأولى ، ومعاهد هواه القديم :

لابنة الجني في الانس طلل ....

فهو يقظان حالم ، أنكر الناس أمره وحاروا في شأنه ، وقالوا : شاعر أو مجنون .

« يأنس بالوحدة لأنه من نفسه في عالم ، ويؤثر السكون ليسمع جلجلة الوحي وأصداء الأرواح ، ويسكن إلى الظلام ليشاهد الرؤى والأشباح ، ويغمض عينيه ليرى ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى » .

وهذا أسلوب جميل ، يجري بغير تكلف ، ويقتبس من القرآن الكريم ، ويسمو في فهم الشاعر ، لأن كاتبه يصف نفسه في حال الوحدة والسكون حين يصطاد خفقات قلبه وما يجيش في صدره وما يشع في بصره وما يفيض من عينيه . والذين أطالوا الاستمتاع بحديث الفقيد وسكروا معه بكؤوس الصداقة هم الذين يعرفون كيف كانت تحوم أشباح الشعر حول عينيه وبصره وفمه ، وهم الذين يعرفون نشوة الشاعر حين يحس أضلاعه تهمس همساً ألذ من نسمات الصباح على أوراق الشجر مع أوائل النور ، يجوس خلالها الشعر وتطرق القوافي ، فينشرح صدره وتضحك عيناه .

والأدباء الذين قرأوا الشعر المعاصر يعرفون أن شعر الفقيد كان يحوم حول جمال الكون ، وفتنة المرأة ، وجلال الدين ، وعظمة الحرية ، وكرامة الوطن . ويعرفون أنه كان ينسج من خيوطها قصائده منذ افتتر شبابه حتى خبا آخر شعاع في عينيه ، فكانت أغاني وألحاناً أسلمها إلى كراريس دفن فيها أقدس أسراره ، ولم يفضح منها إلا ما ارتضى خطبته وإشاعته [1] .

(١) هذه الكراريس يقوم مجمعنا العلمي بطبعها ونشرها إحياء لذكراه .

وفي هذه الكراريس ألوان من الشعر والخيال ، ليس هنا مكان الافاضة فيها ، فهي تلمّ بصور الغزل على ألوانه ، منه اللّيِّن ومنه العنيف ، وفيه القبل تترى والأشواق تتسابق ، فتلحق بالرومانسية الأوربية ، وتتصل بالأساليب العباسية ، وهي في كثرتها كشعر العذريين ، أو الغزلين المتعففين يسقط على القبلة ولكنه لا يهوى إلى ما بعدها ، فيقول :

فكأننا إذ ذاك زوج من قطا ... يتطاعمان بروضة غنـاء
قد كان في طوقي بلوغ مآربي ... لولا زواجر عفـة وحيـاء

وهذا يذكرنا بالعباس بن الأحنف أو بأبي فراس الحمداني ، حين يقدر العاشق ويعف . وهذه الكراريس تنص بالصور الفاتنة في وصف دمشق وغوطتها وأنهارها وجبالها ، وليلها ونهارها ، وما فيها من مؤذن وأذان ، وما في أعيادها من ضحايا تلع فيها مدية الجزار ، وما في الجو من فراش ، وما في الأرض من زنبق . وهو في ذلك كله مؤمن أعمق الإيمان بالله ونبيِّه يقول فيه :

شب أميّاً ولكن ... نال في العلم الإمامة

وهو وطني مخلص لعروبته وبلاده ، يكرم الأبطال في ميسلون فيناجي « يوسف العظمة » :

غضبتَ لأمة منها « معدٌّ » ... فأرضيتَ العروبة والإمـامـا
فيالك راقـداً نبهت شعباً ... وأيقظت النواظر من كراها

ويكرم دمشق في الثورة التي ألهبتها ويغنيها إثر عودته من لندن :

دمشق ولستُ بالباغي بديلاً ... وعن عهد الأحبة ان أحولا
ذكرتُك واللهيبُ له وميضٌ ... ينشّر من شقائقه ذيولا
له وهج إذا وازاه طـير ... رماه ولو علا في الجو ميـلا
وأمطرتِ الرصاص فكان وبلاً ... شديد الوكف منهمراً وبيـلا

ولعله في هذا الشعر القليل الذي روينا يشير بنفسه الى طريقته وأسلوبه ، فما يحوجنا إلى دليل أو تحليل ، بل لعله إذا جمع إلى النثر الذي بسطنا وهو قليل كذلك ، يكفي لرسم صورة عن أدبه وقد اشتد عوده واستد ساعده ، ونضج فنه .

وخلال هذه السنوات السعيدة الخصبة (١٩٣٣ — ١٩٣٩) التي كان يدرّس فيها الأدب العربيّ بالكلية العلمية ـ كما قلنا ـ راح يؤلف الدراسات الأدبية ويترجم لفحول الأدباء القدماء ، فأصدر عدداً من الكتب جعلها بعنوان : «أئمة الأدب» ، ونشر منها خمسة : «الجاحظ ، وابن المقفع ، وابن العميد ، والصاحب ، والفرزدق» [1] وهي دراسات مبسطة تجمع حياة الشاعر إلى مختار شعره ، وتعرضه عرضاً واضحاً موفقاً تعين طلاب البكالوريا وتفتح باباً للكتب المدرسية في الأدب العربي ببلادنا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

***

ووقعت الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ، وقد جاوز الفقيد الأربعين من العمر ، وعرفه العالم العربي ، وأكبره قومه ، واحتل بين إخوانه في المجمع مكانة سامية ، فانتخبوه أميناً للسر سنة ١٩٤١ ، وراح يعمل بجانبه أيامه مع الرئيس الأسبق المرحوم محمد كردعلي في انسجام وصفاء .

وكانت المجالس الصباحية في المجمع أشبه بمجالس القدماء تطوف فيها كؤوس النوادر الأدبية ، والصفحات العلمية ، فكان الصبوح في «دارة الخالدين» أشهى ما يشرب الناشئة وألذ ما يعالج الشيوخ ليومهم . وكأنّ الحرب ما دارت منها رحى ، وكأنّ ظلام الدنيا ما اختلف إلى هذه العقول النيرة ، وعاش الرفي

(١) الجاحظ ٩٦ صفحة — ابن المقفع ٩٦ صفحة — ابن العميد ١٤٤ صفحة — الصاحب ٢٥٦ صفحة — الفرزدق ١١٢ صفحة ، وكلها من القطع المتوسط .

بين جدران « المدرسة العادلية »[1] شهوراً جميلة أعاد إليها جهاد العلم ، وانتصار الثقافة ، وسمو الانتاج .

وفي سنة ١٩٤٣ ، شاءت الحكومة أن تختطف العلامة الأديب من جدران المجمع لتجعله وزيراً للمعارف في ظروف قلقة ، فترك ما بين يديه من دواوين إلى حين . ولكنه عاد بعد ذلك إلى أمانة السر لتقر به عيون الأعضاء ، ويفرح به الرئيس الجليل .

ومنذ سنة ١٩٤٦ ، أصبح العلامة الفقيد يحيا حياة جديدة أحبها منذ صباه ، وهي العكوف على المصادر القديمة ، واحياء الشعر الشامي يترنم به ويتغنى ، ويبحث وينقب ، حتى عرف كل حيّ من أحياء دمشق في قديمه وحديثه ، وأتقن كل لفظة دمشقية جاءت على لسان الشعراء قبله ، فغدا مرجعاً وثقة في هذا ، كما كان رئيسه ثقة في تاريخ الشام وحضارة الإسلام . والذين يتذوقون الأدب القديم ويعشقون الرحلة في مطاويه ، ويصبرون على التجوال في هوامش الكتب يجدون في تعليقات علامتنا سطوراً لا تضاهيها صفحات كثيرة ، ففيها من اللذة والجمال ما ليس في كتابات كثير من العصريين المجددين المتأدبين ، فهي حدائق من الأدب لا يسمو اليها خيالهم ، ولا تحملهم اليها قوائمهم .

وهذه التعليقات نجدها في الدواوين التي حققها فقيدنا واحداً إثر واحد على كال متصاعد ، ما يزال يحسّن فيه حتى يبلغ الذروة . فقد حقق ديوان ابن عنين الدمشقي سنة ١٩٤٦ ، وديوان عليّ بن الجهم سنة ١٩٤٩ ، وديوان ابن حيوس سنة ١٩٥١ ، ثم ديوان ابن الخياط سنة ١٩٥٨ . وطبعها كلها المجمع العلمي بدمشق ، وصدّرها علامتنا بمقدمات ودراسات تقارب كلّ مقدمة منها خمسين صفحة ، لو جمع بعضها إلى بعض ، ولو جردت من صدور الدواوين

(١) مقر المجمع العلمي العربي منذ نشأته إلى اليوم .

لكانت تاريخاً للأدب في الشام ، بكل الدراسة التي أنشأها عن القرن الثالث للهجرة في صدر شبابه . فقد كان الفقيد منسجماً مع ماضيه يسير على خط مستقيم في عمله ، يعرف كيف بدأ ويعرف كيف يتم ، لا يصرفه نقد بعض المتنطعين لأعماله وأعمال المجمع ، ولا يغضبه قولهم فيه ، فهم يرون أن التحقيق والنشر من العبث والترف ، ويظنون أن الأدب كل الأدب قصة تنشر وقصيدة تخطر ، ومقالة تروج ، وخطبة تلقى فحسب .

وقد كان الفقيد يلقى عند المستشرقين اكباراً واعجاباً وثناء لو جمع في ذكراه لأغنى القائلين في مدحه ، كما كان يلقى عند رصفائه من أعضاء المجامع العربية والدولية إكباراً وثناء ، فتهافتت عليه المجامع العلمية والمدارس العالية تهدي اليه عضويتها ، وتلتمس اليه قبول الانتساب اليها . فانتخبه مجمع اللغة بمصر عضواً سنة ١٩٤٨ ، والمجمع العلمي العراقي عضواً كذلك سنة ١٩٤٩ ، ومدرسة الدراسات الشرقية بلندن عضواً سنة ١٩٥١ ، ودائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين عضواً في تحريرها سنة ١٩٥١ ، ومجمع البحر المتوسط في بالرمو عضواً سنة ١٩٥٢ ، والمجمع العلمي السوفياتي عضواً سنة ١٩٥٨ .

وفي سنة ١٩٥١ ، عادت اليه الحكومة السورية لتدعوه الى تسنّم منصب وزير مفوض لها في بغداد ، فسافر اليها وكان فيها موضع الحب والتقدير ، وغدت دارتنا هناك ملتقى العرب الأعلام .

وفي سنة ١٩٥٣ اختير وزيراً للخارجية .

وفي السنة نفسها ، انتخب رئيساً للمجمع العلمي العربي بدمشق ، فبلغ أعلى ما يطمح اليه عالم وأديب ، وقضى أماني قلبه ووثبات روحه واشراقة نفسه ، وأصبح في الذروة تعقد عليه الآمال وترنو اليه الأبصار .

فلما انصرف عن السياسة والمناصب ، عاد الى المجمع العلمي ليسير بمنشوراته العلمية سيرة مجامع الغرب ، فاطرد العمل ومضت المجلة في ثوبها الجديد ، تثب

في قوة وجلاء حتى قطعت إلى اليوم من عمرها قرابة أربعين سنة ، وقد كان فقيدنا يقطعها أجمل ساعاته ويخصها بأخصب عنايته ، يكاد يقرأ مقالاتها كلها قبل النشر ، ويراقب ترتيبها ، ويحث على المضي في طبعها وتصحيحها ، واخراجها في نظام موقوت ، فكأنها قطعة من حياته ، كما كانت قطعة من حياة سلفه قبله .

أما مطبوعات المجمع فكان يعمل لها في جدّ متواصل ينظر فيها ويدققها كأنها بقلمه ، وكم راجع أصحابها وزودهم بما يعرف من أمور ، واشترك معهم في التعليق والتصويب . وكان بهذا الحرص المتواضع والجهد الدائم يدفع الشباب إلى العمل ، ويحبب برسالة المجمع ، ويستزيد من الأصدقاء ، ويجمع حوله القلوب .

ولم يكن يدفع إلى الإنتاج فحسب ، وإنما كان يضرب الأمثال بنفسه ، فيحبر المقالات في دراسة الأدب ونقده وتحقيق نصوصه كما كان يفعل منذ أول نشأته في « الرابطة الأدبية » . فهو في السبعين من عمره كما كان في الخامسة والعشرين ، يعشق الأدب ، ويميل إلى التحقيق ، فيقبل على شعره يسجل همسات خاطره ، ويقبل على شعر أهل الشام فيعنى به ، وكان آخر انتاجه « ديوان ابن الخياط » – الذي ذكرناه – أتمه قبل عام من وفاته على أحسن ما يصنع المحققون في العالم العربي ، فحشد له ثماني نسخ خطية ، جمعها من أطراف الدنيا ، وسار في التعليق عليها وموازنتها سيراً لا انقطاع فيه ، فاذا خلا من زواره انقلب إلى عمله يرمم بخطه الجميل أبيات الشعر ، كما رمم غيره من الدواوين لا يعتمد على ناسخ أو ناقل ، فكأنه في الثلاثين من عمره جداً وجهاداً ، لا يفتر ولا يني ، حتى ملك الإتقان في هذا الديوان ، وكان لنا شرف الحديث عنه في مجلة المجمع [1] ، فألمعنا إلى أياديه على الجيل في هذا الكتاب وفي غيره ، وبسطنا خطته في تأريخ الأدب العربي لإقليمنا – كما قلنا – ورجونا أن يتم

(١) انظر المجلد ٣٤ ، سنة ١٩٥٩ (ص ١٢٦ – ١٣٣) .

السلسلة إلى القرن السابع الهجري حيث وقف الشعر العربي عن فيض إبداعه . ولو قد مد الله في عمر الفقيد لعمد إلى طبع ابن منير الطرابلسي وابن القيسراني ، وقد حدثني عنها ، وأطال في الشوق إلى اخراجها ، فوفر لها النسخ والمصادر ولكن المنية بالمرصاد للنفوس الكبيرة الجاهدة التي تستقل ساعات الحياة دون تحقيق مشاريعها الضخمة .

ولعلّ هذا الإجهاد من غير راحة بعد بلوغه الستين قد أضر بجسمه ، فأورده موارد المرض والعلة ، فأقعده عن السعي الى المجمع ، فافتقده إخوانه وصحبه وهم كثر ، ورأوا مكانه خاليا لا يسد ، فلا مرجع يرجعون اليه ، ولا مشير يطلقون على رأيه الأمل . فقد كان مستودع الأسرار ، شديد الحرص عليها وفيا لصحبه ، جميل التواضع ، كأنّ الشعر الرفيع سكب عليه برداً من أجمل أبراده ، فكساه بأجمل الحلي وزينه بأنقى الصفات . فقد كان رحمه الله صورة للرقة في حديثه ومجلسه ، ما تنقطع بشاشته عن حديثه ، حتى لكأنه ورد الربيع ينشر العطر ، ويجمّل الذكر ويكسو الحديث أطيب النكهة . فما عرفنا أن لسانه الحييّ المتردد انطلق مرة إلاّ في خير الناس ونفع الأدب ، وخدمة المجمع ومجد العرب . وكانت عيناه الواسعتان تشعان أبداً بنور النبل والحياء الجم والتواضع الجميل تفرحان للجمال ، وتضحكان للنكتة البريئة ، وتسبران غور الحدث ، وكان في حركاته مثالاً للرجل الرصين الرزين الوقور ، على مر السنين : فتى يافعاً ، وأديباً ناشئاً ، ومدرساً نافعاً ، وعضواً عاملاً ، ووزيراً متواضعاً ، ورئيساً مخلصاً ، تقلّب في حياته على الغنى والجاه وتنقل في المراتب والمناصب ، فما أبطرته ولا أسكرته ، لأنه كان فوق ما أعطته ، وكانت دون ما يستحق .

ولهذا غدت سيرته في صحبه ورصفائه من أعضاء المجمع وأصدقائه الأدباء نفحة عطر وأوراق زهر وصفحات خلود وسطور أمجاد ، ما يستطيع قلم مهما أوتي

من قوة أن يرسم مبلغ صفاتها ونقائها، وما يبلغ بيان إلى وفائها حقها . فهي جوانب كثيرة لا يلم بها مقال مهما طال ، لأنها أخذت من كل روض وجمعت من كل أفق فغدت باقة في الأعمار ، كلما كشفنا عن زهرة منها فاح عبق ، وكلما قلبنا ورقة منها ملأت وجه الأفق ، فهي سيرة تفيض على السنين التي عاشها ، ولا تعد الأعمار الكريمة بالأعوام ، ففي كل مرحلة من مراحل عيشه التي ألممنا اليها أثر كبير وخير كريم .

وقد حاولنا في هذه الصفحات أن نوجز في سيرته لنصف فاجعة المجمع العلمي العربي ، وحزن المجتمع ، وثكل الشعر وحداد الأدب ، وألم المحبين والصحب والأهل ، فقد فقدوا شاعراً محلقاً ، وأديباً محققاً ، ورئيساً لا يجارى ، وصديقاً وفياً لا يبارى ، وإماماً في التواضع والنبل لا تنسى محامده على الزمان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رحمه الله رحمة واسعة ، وألهمنا العزاء والسلوان على فقده .

الدكتور محمد سامي الدهان

ترجمة جديدة
لابن خداويردي

كان ابن خداويردي (واسمه محمد الراعي) من أدباء القرن الثاني عشر ألف كتابه المشهور «البرق المتألّق في محاسن جلّق»، وهو كتاب جمع فيه ما قيل في مدح دمشق نثراً ونظماً، وكنا نشرنا له «أرجوزة في محاسن دمشق»، وترجمنا له ترجمة موجزة في مقدّمتها[1]، لم نستطع يومئذ التوسّع بها لعدم وجود مصادر ترجمت له .

وكان من المفروض أن يترجم له المرادي . ولكننا لم نجد شيئاً عنه في سلك الدرر المطبوع .

ثم صور معهد المخطوطات العربية من مكتبة عارف حكمة بالمدينة المنوّرة نسخة مخطوطة من كتاب البرق المتألّق . فوجدنا في أول صفحة منها ترجمة المؤلف منقولة من تاريخ المرادي . وهي ترجمة لطيفة . فأحببنا أن ننقلها هنا ؛ لأنها لا توجد عند المرادي المطبوع :

« هو محمد بن مصطفى بن خداويردي بن مراد بن ابراهيم الشهير بالراعي ،
« بفتح الراء ، الحنفي الدمشقي الكاتب المنشئ الأديب، أحد الكتّاب الماهرين
« بالفنون . وُلد بدمشق في سنة تسع عشرة ومابة وألف ، ونشأ بها ، وأخذ
« الكتابة والمعارف عن أربابها ، وتخرّج بذلك على يد محمد عاصم بن عبد المعطي
« أحد أعيان الكتّاب بدمشق ، ومهر بصناعتَيْ النظم والنثر ، وصار يكتب
« الخطوط المتنوعة كالرقعة ، والديواني ، والقرمة ، والسياقة ، والفسخي ، وغير
« ذلك . وبرع باللغتين الفارسية والتركيـة . وصار مقاطعجياً بباب الدفتري
« بدمشق ، وكاتباً في أوقاف الحرمين المحترمين . وكان يغلب على شعره الهجو .

(١) انظر مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد ٢٧ (سنة ١٩٥٢) ص ٢٢٥

« وله أهاجٍ في الناس كثيرة ، ونكتٌ ونوادر مقبولة . وفي آخر أمره تراكت
« عليه الأمراض والعلل والأكدار ، وقلَّ ما بيده ، الى أن مات .

« وله من الآثار البرق المتألق في محاسن جِلِّق يحتوي على ذكر دمشق
« ورياضها وغياضها ومياهها . ورسائل أُخَرُ في الأدب . وشعره كثير .

« وكانت وفاته في يوم الثلاثاء خامس صفر الخير سنة خمس وتسعين ومئة وألف .
« رحمه الله تعالى .

« انتهى ملخصاً من تاريخ جناب المولى الهمام العالم الإمام السيد محمد خليل أفندي المرادي المفتي بدمشق الشام » .

وهذه الترجمة تبين لنا أطرافاً من أحوال ابن خداويردي ، وتدلنا على أن تاريخ المرادي المطبوع ناقص .

الدكتور صلاح الدين المنجد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هدية مخطوطات

أهدى الى دار الكتب الوطنيـة (الظاهرية) فضيلة الأستاذ المرحوم الشيخ محمد جميل الشطي مجموعة من المخطوطات الثمينة هذا ثبتها :

العدد	
٢	شرح الغاية لعبد الحي بن أحمد بن العماد الدمشقي
٦	شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي المصري
٦	شرح الاقناع بخط مؤلفه منصور بن يونس البهوتي الحنبلي
٣	شرح المنتهى لمؤلفه منصور بن يونس البهوتي الحنبلي
٤	الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف لعلي المرداوي
٢١	المجموع

وكذلك أهداها الأمير جعفر والأمير إدريس الحسني الجزائري المخطوطات التالية وعددها ثلاث وسبعون مخطوطاً :

اسم الكتاب	المؤلف
تحفة البررة في المسائل العشرة	أحمد بن علي بن المهذب بن نصر الحواري
شرح الانموذج في النحو	محمد بن عبد الغني الاردبيلي
رقائق الحقائق في حساب الدرج والدقائق	محمد سبط المارديني
الصلاة الأحدية على الذات الهاشمية	
تحفة الأسماع بمولد حسن الأخلاق والطباع	محمد نسيب الحمزاوي
شرح الشجرة النعمانية	الصدر القنوي
مجموع أوله رسالة على رسالة الوضع	محمد الحفناوي
كتاب النجاة في العلوم الحكمية	أبو علي بن سينا
حاوي المختصرات في العمل بربع المقنطرات	الأمير أحمد بن الأمير عبد القادر الحسني
تفسير غريب القرآن	عبيد الله محمد بن أحمد بن جعفر السقطي البغدادي
تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد	محمد بن مالك الطائي
اختيار المختار في كشف الأسرار	
رسائل في العقيدة الدرزية أولها رسالة التنزيه	
شرح الحكم	محمد بن عباد النفري
شرح قصيدة ابن حبيب الصفدي	علي بن عطية الملقب بعلوان الحموي الهيتي
تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس	عبد الوهاب بن محمد بن علي بن أحمد .. ابن سلطان تلسان
مجموعة رسائل وأشعار	
شرح قصيدة محمد العربي بن يوسف الفاسي في الزكاة	عبد العزيز بن الحسن بن يوسف بن مهدي الزياتي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسم الكتاب	المؤلف
عيون المذاهب الكاملي المظفري	عبد الرحمن الحبازي
شرح أسماء الله الحسنى	القشيري
الفتح المبين شرح الأربعين	
تذكرة المعجبين في أسماء سيد المرسلين	محمد بن أبي الفضل قاسم المرعي التونسي
مجموع أوله رسالة شرح لامية ابن الوردي	النجم الغزي
شرح حديث أم زرع	القاضي عياض
تلخيص المفتاح (في علم البلاغة) (الأول من مجموع)	
رسالة في الفقه والفروض والواجبات والنوافل	عبد الله بن أبي زيد القيرواني
الدر الحسان في اختصار كتاب التبيان شرح مورد الظمآن (مخرومة في بعض المواضع)	
الطريقة المحمدية	محمد البركوي
مجموع أوله مشتهى العقول في منتهى النقول	
موصل الطلاب الى قواعد الإعراب (شرح القواعد)	خالد بن عبد الله الأزهري
شرح السمرقندية	عصام الدين بن محمد
مجموع أوله أوراد البكري	مصطفى البكري
مجموع أوله سلك طريق العمل وفيه عندليب المناظرة	
إتحاف المريد بجوهرة التوحيد	عبد السلام اللقاني
فرائد العقود العلوية لحل ألفاظ الأزهرية	الشيخ علي الحلبي
تمرين الطلاب في صناعة الإعراب	خالد بن عبد الله الأزهري
مختصر شرح تلخيص المفتاح	سعد الدين عمر التفتازاني
عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات	عبد الله محمد القزويني
اللمعة في حل السبعة (مختصر نزهة الخاطر)	أحمد بن غلام الله الكوم الريشي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المؤلف	اسم الكتاب
	كمات على نظم الصغرى للونكري (البدور
محمد بدر الدين	الجلية شرح نظم السنوسية)
	تلخيص المفتاح في علم البلاغة
	مجموع أوله شرح السلم المرونق
عبد الغني النابلسي	كشف السر الغامض شرح ديوان ابن الفارض
عبد الله بن محمد الكردي البيتوشي	صرف العناية في كشف الكفاية
محمد بن ابراهيم التتائي	غرة الأبصار على الثلاثة الأذكار
عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري	شرح الزرقاني على متن العزية

كتاب في النحو (مخروم الأول) أوله ٠٠ ان اذا ظرف فيه معنى ٠٠

	حاشية البناني على هوامش الصبان على شرح
مصطفى البناني	التلخيص للتفتازاني (الأول)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتاب في الفقه مخروم الأول والآخر أوله ٠٠ المذكورة علمنا معرفة النجس ٠٠٠

كتاب في الحديث مخروم الأول والآخر أوله ٠٠ النفس نشيطا وإلا أصبح خبيث النفس كسلان ٠٠

مصطفى بن محمد البناني	تجريد البناني من هوامش الصبان على شرح التلخيص
	القرآن الكريم
محمد التتائي	الدرة البهية شرح المقدمة القرطبية

كتاب في النحو مخروم الأول والآخر أوله ٠٠ وقد عمت بكنه ذلك عدنان وقحطان (وهو شرح قصيدة)

الحسن بن مسعود اليومي	حواش على عمدة أهل التوفيق شرح عقيدة أهل التوحيد

حاشية الكمال بن أبي شريف على المحلي (الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع)

الخامس من القسطلاني أوله فضائل النبي (ﷺ)

اسم الكتاب	المؤلف
الثالث من صحيح مسلم	
شرح مقصورة أبي الحسن بن حازم الأنصاري	محمد بن احمد بن محمد الحسني الغرناطي
فتح الباري على صحيح البخاري (الأول)	ابن حجر
المنصف من الكلام على مغني ابن هشام	أحمد الشمني الحنفي
السيرة النبوية (مخرومة الأول)	
كتاب في الحديث مخروم الأول أوله : ابن الخيار أخبره أن المقداد ...	
اكمال الاكمال (الثالث)	الابي (شارح مسلم)
عنوان النفاسة في شرح ديوان الحماسة (الاول) (مخرومة الأول)	ابن ناكور ؟
كتاب في الفقه كتب عليه الجزء الثامن الاجهور	
كتاب في الحديث مخروم الأول أوله .. ان الشياطين تأكل حقيقة ..	
جزء من الجامع الصحيح أوله .. كتاب الحج	البخاري
شرح مقامات الحريري	أحمد بن عبد المؤمن .. القيسي الشريشي
القواعد الكبرى	ابن عظوم
كتاب الحيل	عبد المؤمن الدمياطي
الأول من المناوي الكبير على الجامع الصغير (فيض القدير)	المناوي
مولد ابن حجر الهيتمي	

فنتقدم إلى المهدين المشار اليهم أطيب الثناء والشكر على هديتهم النفيسة .